التاثير العربي الاسلامي على بلاد البلغار (الروس) من خلال رحلة ابن فضلان سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م *

أ٠د٠محمد كريم ابراهيم الشمري
عميد كلية الاداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

يُعنى هذا البحث بدراسة التأثيرالعربي- الاسلامي على بلاد البلغار (الروس) من خلال رحلة أحمد بن فضلان التي قام بها سنة ٣٠٩هـ /٩٢١م مبعوثا من قبل الخليفة العباسي المقتدربالله ، مبينا أهمية امتداد دائرة الحضارة العربية- الاسلامية بين سكان تلك البلاد (الواقعة على نهر الفولجا) والدولة العربية الاسلامية ٠ولعل ابرز نتائج هذه الرحلة : انتشار الاسماء العربية الاسلامية في بلاد البلغار وتغيير الاسماء المنتشرة قبل هذه الرحلة بما فيها اسم ملك البلغار ، فضلا عن استبدال العديد من القيم والتقاليد البالية التي كانت سائدة بينهم ، وانتقال الكثير من نظم الادارة والاقتصاد وضرب السكة (العملة) العربية الاسلامية في تلك البلاد وانتشار الاسلام منها الى البلدان المجاورة لها .

كما اوضح البحث الدور الكبير والمتميز لمدينة بغداد بصورة خاصة والعراق بصورة عامة في المجال الحضاري والرقي العلمي والفكري الذي عبّر عن هيبة الخلافة العباسية وقوتها في الخارج ، فالتطور الحضاري الهائل للمجتمع العراقي تمثّل في بعثة ابن فضلان ومن تبعه ، في حين كانت المجتمعات التي زارها على درجة ادنى في التطور والرقي ، وبذلك نجحت محاولات العراقيين في تلك البلدان في ايصال معالم الفكر والتربية العربية الاسلامية اليها ٠

(١)
البلغار وصلتهم بالاسلام

أ-اسمهم وأصلهم :

البلغار او (البلغر) ، ويسمون : البرغر[١] او البلكار [٢] ،اسم أطلق في المصادر الاسلامية على شعب تركي اقام دولتين في صدر القرون الوسطى ، احداهما على نهر الفولجا (أتل)، والاخرى على نهر الدانوب[٣] ، ومن العلماء من يرى انهم اقرب الى الجنس القفقاسي من غيرهم [٤] ، ويهمنا من هاتين الدولتين – في بحثنا- الدولة التي تكونت على نهر الفولجا وحوله وانتشر فيها الدين الاسلامي منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ولها مراسلات مع الخلافة العباسية ٠

اطلقت كلمة بلغار على الشعب وعلى البلاد وعلى عاصمتها الواقعة شرق نهر الفولجا ، وماتزال بعض اطلالها قائمة على مقربة من مدينة قازان الحالية على بُعد ست كيلو مترات من شاطىء الفولجا الايسر [٥] ويتضح لنا مما سبق ان مصطلح بلغار ومدلوله كانا واسعين وشاملين ، فقد أطلق على الشعب و الدولة وعاصمتها ، لكن المصادر العربية والاسلامية لم تفصح لنا بشكل جلي عن اصل هذا الشعب وموطنه الاول ، بل وردت اخباره متناقضة فيها كثير من اللبس والاختلاط ٠

وحول أصل البلغار ذكر هربك [٦] ان البلغار الاصليين جاءوا الى سهوب جنوب روسيا في موجة من موجات الهون ، ودُكِروا اول مرة بمعرفة يوحنا الانطاكي سنة ٤٨١م ، حين ساعدوا الامبراطور (زينو) في حربه مع القوط ، وكانت قاعدة بلاد البلغار في ذلك الوقت السهوب المجاورة لنهر قوبان وبحيرة ماؤطيس(بحرآزوف) ، وكانت بعض مجاميعهم تسكن في اقليم الدانوب الادنى وفي القوقاز ، وعرفت بلادهم الاصلية (قوبان) في الاخبار البيزنطية باسم (بلغاريا الكبرى)٠

---

* بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الثاني الذي عقدته كلية الدراسات الاسلامية (الفقه سابقاً) – جامعة الكوفة بالتعاون مع بيت الحكمة (بغداد) ، بعنوان : الاسلام والخطاب الحضاري على قاعة رئاسة جامعة الكوفة للمدة : ١٢-١٣ ذي القعدة ١٤٢٧هـ / ٣ – ٤ / ١٢ / ٢٠٠٦م .

ونرجح صحة هذه الرواية وقِدمها التي تؤكد ان اصل البلغار جنس قفقاسي ، فهم روس توزعوا في استقرارهم بين السهوب المجاورة لنهر قوبان وبحر آزوف ، واقليم الدانوب وفي القوقاز ، وعرفت بلادهم باسم: بلغاريا الكبرى ؛ بسبب كثرة عددهم وحشودهم ٠

وفي خبر اخر [٧] ان اسم البلغار ورد لاول مرة في التاريخ الكنسي لزكريا الخطيب، حوالي سنة ٥٥٥م بين قبائل القوقاز الرحل الذين كانوا يسكنون الخيام ويأكلون لحوم الماشية والاسماك ، أي انهم كانوا قبائل رحل وصيادين ، وذكر يوحنا الافسوسي سنة ٥٨٥م قصة ورد فيها اسم بلغاريوز وخزربكث- اللذين انحدر من صلبهما البلغار والخزر – علما انهما اخوان ، وهي اشارة تؤكد قرابة هذين الشعبين والتحالف الوثيق بينهما ، وبعد ذلك بعدة قرون انفصمت عرى الروابط التي كانت قائمة بينهما ، وابتعد كل شعب عن الآخر ، ومع ذلك بقيت وحدة اللغة المشتركة بينهما ، هذه الرابطة التي استمرت بين جميع الشعوب التركية ، وحدد هربك [٨] انفصال البلغار الى مجموعتين في استقرارهما،المجموعة الأولى بين بلاد روسيا أي حول نهر قوبان وبحيرة ماؤطيس (بحرآزوف) ، والمجموعة الثانية في اقليم الدانوب الادنى وفي القوقاز ، بعد وفاة خان قورات سنة ٦٤٢م ، ولعل ذلك حدث بتأثير القوة النامية لمملكة الخزر (بلغاريا الحالية) الجديدة ، وبقي فريق من البلغار في منازله القديمة على نهر قوبان وماؤطيس (بحر آزوف) حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت هذه البلاد تعرف باسم : (بلغاريا السوداء) ، كما كانت الاخبار الروسية تسميها : البلغار السود ، ولم يلعب هؤلاء البلغار اي دور مهم في التاريخ ، ولعل الموجات الثقافية من المجر والبشناق والقومان قد استوعبتهم ٠ وفي سنة ٦٧٨م هجرت اعظم جماعة من البلغار وطنها الى البلقان والدانوب ، واقامت دولة بين ظهراني القبائل الصقلبية [٩] الجنوبية ، ثم ذابت هذه الجماعة اللبغارية التركية القليلة العدد في خضم هؤلاء الصقالبة الذين يفوقونهم عددا ، وعرفت هذه الدولة وسكانها في المصادر الاسلامية باسم : البرجان [١٠] ٠

اما المجموعة الثالثة وهي اصغر الجماعات البلغارية ، فقد تراجعت باتجاه الشمال بمحاذاة نهر الفولجا ، وتؤيدالمعلومات الاثرية صحة هذه الحادثة ، اذاستقرت عند ملتقى نهر قاما بالفولجا ، وهناك استطاعت اخضاع السكان الاصليين فأقامت دولة جديدة، وهذه الجماعة هي: البلغار في المصادر الاسلامية ، والبلقار في المصادر الفارسية ، وأطلق اسم البلغار ايضا على بلادهم وعلى قصبة (عاصمة) دولتهم [١١] ٠

ونرجح ان هذه المجموعة الاخيرة التي شكلت دولة البلغار على نهر الفولجا وحوله - وهي موضوع بحثنا- ، وسمتها المصادر الاسلامية بـ:الصقالبة ، ويتضح لنا من استعراض تاريخ البلغار القديم اضطراب الروايات حول اصلهم وموطنهم الاول وكيف انقسموا واستقروا حول نهر الفولجا (أتل) ٠

ونشير اخيرا الى الصلة الوثيقة التي تربط البلغار بالصقالبة، اذ الشائع ان البلغار يرجعون الى الصقالبة (السلاف) ، فابن فضلان ذكر في فاتحة كتابه ان المش ملك الصقالبة ، ويقصد بهم البلغار ، ويسمي عاصمتهم : بلغار ، وافرد لهم فصلا في رسالته بعنوان : الصقالبة [١٢] ، ووصف ابن رستة [١٣] موقع بلكار على حافة النهر الذي يصب في بحر الخزر ، المسمى : أتل ، وهو بين الخزر والصقالبة ، أي انه جعلهم عنصرا اتخذ موقعه بين عنصرين آخرين هما: الخزر والصقالبة ، ولعل ذلك يعني غلبة الصقالبة وامتدادهم الى حوض نهر الدانوب ، ووصفت بلغار بأنها مدينة الصقالبة ، ضاربة في الشمال شديدة البرد ، والثلج لايفارق اهلها صيفاً ولاشتاءً ، وبناؤهم بالخشب وحده [١٤] ، ووصفْ كهذا يدلل على بُعدها ووقوعها في الاجزاء الشمالية من روسيا الحالية ، والبلغار اجناس عديدة ينقسمون الى حشود وجماعات كثيرة عُرفت بأسماء مختلفة لدى الكتاب المسلمين ، اشهرهم ثلاث جماعات رئيسة ، هم: برصولا (برسولة) واشكل او (اسكل-اسغل) ، والصنف الثالث : بلغار [١٥] ولعل

العنصر الاخير هو الذي يعنينا اكثر من غيره في بحثنا هذا ، أي العنصر الذي استقر على نهر الفولجا وحوله، واعتنق الدين الاسلامي منذ وقت مبكر ٠

خلص بارتولد [١٦] الى رأي مفاده ان الصورة التي رسمها ابن فضلان للبلغار وبلادهم هي اكمل من سواها ، واشار الى انه اطلق اسم الصقالبة على بلغار نهر أتل (الفولجا) ، ونحن نذهب الى ماذهب اليه بارتولد، من ان ابن فضلان هو الذي اطلق على بلغار نهر الفولجا اسم:الصقالبة،- في بداية نص رسالته - واطلق على ملكهم: ملك الصقالبة ٠

أشار د.الدهان [١٧] الى ان الغربيين لم يستطيعوا تحديد مملكة الصقالبة ، لكنهم يرون ان البلغار هم الصقالبة انفسهم ، وهذا الرأي يدعم رأي بارتولد الذي أكد ان هذه التسمية ترجع الى ابن فضلان ، في رسالته التي دوّنها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ٠

وفي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، ذكرالغرناطي [١٨] ان بلغار مدينة عظيمة جميعها مبنية بخشب الصنوبر، ومعنى بلغار : رجل عالِم ، والعالِم عندهم يسمى: ((بلار)) فسميت تلك الارض بلار، ومعناه : رجل عالم ، وعربتها العرباء ، فقالوا : بلغار ، وأضاف انه قرأ ذلك في (تاريخ البلغار) بخط القاضي البلغاري [١٩] رحمه الله ٠

يتضح لنا من خلال هذه الرواية ان الغرناطي قصد من التسمية ، ان اهل بلغار مسلمين يُجلِون العلماء ، وللتجار المسلمين دور كبير في نشر الاسلام بينهم ، وكانوا يحاربون الخزر معتنقي الديانة اليهودية ، وحققوا النصر عليهم بفضل ايمانهم ، فكانوا أي: المسلمين البلغار، يُكَبّرون في حروبهم ويحمدون الله ويُصلّون على الرسول (ص) بقولهم : ((الله اكبر ، الله اكبر، الله اكبر، ولله الحمد ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد)) ، ويقاتلون مع ملك البلغار ضد ملك الخزر ، حتى صالحهم الاخير ودخل في دينهم [٢٠] ، ويتضح لنا ايضا ان تسمية : بلار أطلقت على التاجر المسلم الذي علمهم مباديء الدين وحثهم على جهاد الكفار وطلب منهم عدم الخوف والتكبير لله تعالى ، فحققوا النصر على عدوهم ، مما أدى الى تسمية تلك البلاد بـ :بلاد الرجال العلماء أي : المسلمين الذين لهم علم بالدين ومبادئه الصحيحة ٠

من كل ماسبق يتضح لنا ان البلغار جنس تركي الاصل من اسيا الوسطى وصلوا الى اوربا عبر المنحدرات الغربية لنهر الفولجا ، وكانت لهم قرابة وصلات مع الخزر والصقالبة ، ويبدو ان صلاتهم مع الصقالبة كانت اشد وثوقاً الى درجة ذكرنا ان ابن فضلان وغيره سموا البلغار : الصقالبة ، لكننا نؤكد ان الصقالبة هم جنس آخر غير البلغار ، ومن ملوك الصقالبة ملك الترك ، فالترك جنس من الصقالبة [٢١] والبلغار اندمجوا معهم فطغى اسم الصقالبة عليهم ، وقد أكد الغرناطي [٢٢] ان بلاد الصقالبة مجاورة لبلاد البلغار ، وذكر في رحلته انه خرج من بلغار ، وركب سفينة في نهر الصقالبة في طريقه الى بلادهم ، وكان الاسلام منتشرا بينهم في القرن السادس الهجري ، ولعله قصد انه سافر الى بلاد الصقالبة على نهر الدانوب ٠

ب-البلغار والاسلام :

لانعرف على وجه التحديد متى اعتنق البلغار الاسلام ، لكننا نرجح ان هنالك صلات بين بلادهم وبلاد العرب المسلمين منذ ظهور الاسلام ، بعضها كان لاسباب عسكرية تتعلق بوصول العرب الى اجزاء قريبة من ديار الترك والبلغار والخزر والصقالبة وغيرهم ، وبعضها تعود لاسباب اقتصادية من خلال التجارة والتبادل التجاري الذي كان عاملا مهما من عوامل امتداد الاسلام في ارجاء المعمورة ، وقبل دراسة هذه الجوانب لابد من القاء نظرة سريعة على ديانة البلغار قبل دخولهم الاسلام ٠

كان البلغار قبل استقرارهم بدو سهول الاستبس ، يربون المواشي وينتقلون على الخيول ، وكانوا يعبدون مجموعة من الحيوانات ، ولكل بطن من بطون عشائرهم طوطما (شعارا) خاصا بها ، لكن الههم الكبير(ايمورتال تنكري) هو خالق الكون عندهم ، وقبل اعتناقهم الدين الاسلامي كان الخان

البلغاري- فضلا عن زعامته الدينية-، يعد الكاهن الأعلى لقبيلته ، ونستدل من المعلومات الواردة عن عاداتهم في رسالة ابن فضلان ، ان ثقافتهم ماتزال منحطة ، لكن انتشار الاسلام بينهم ادى الى تطور العلاقات الروحية لمجتمعهم التي حددت مظاهر حياتهم المادية ، وهكذا كان التباين واضحا في السُلّم الحضاري بين المجتمع العراقي الذي كان يمثله ابن فضلان ومن تبعه من الرحالة ، وبين مجتمعات الترك والبلغار والخزر وحتى الروس ، ويتجلى ذلك في محاولات العراقيين بايصال معالم الفكر ومبادئ التربية التي ارادوا نشرها في تلك البلدان بدلا من عادات البلغار وغيرهم ٠ (٢٢)

وكما ذكرنا اولاً فنحن لانستطيع الجزم بتحديد الوقت او العصر الذي امتد فيه الاسلام الى بلاد البلغار وانتشر فيها ، وكان من بين اسباب انتشاره الحملات العسكرية التي قادها المسلمون الى اجزاء مجاورة لبلادهم ، ادت في الاعم الارجح الى تسرب الاسلام لبلاد البلغار ، ذكر الحموي (٢٣) في حديثه عن برجان انه بلد من نواحي الخزر ، في الاقليم السادس ، وان المسلمين وصلوا ذلك الاقليم في خلافة عثمان بن عفان (رض). وهذه الرواية توضح لنا ان طلائع المسلمين وصلوا منذ القرن الاول الهجري الى بلاد الخزر الحدودية مع بلاد البلغار؛ بغية نشر الاسلام فيها ٠

والخزر هي بلاد الترك خلف باب الابواب المعرفة بـ : الدربند ، قرب سد ذي القرنين ، وقيل ان التسمية نسبة الى الخزر بن يافث بن نوح (ع) ، وفيها جمع كبير من المسلمين يزيد عددهم على عشرة آلاف مسلم ، ولهم نحو ثلاثين مسجداً ، والخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الاوثان ، وأقل الفِرق هناك اليهود ، لكن المَلِك منهم ، واكثرهم المسلمون والنصارى ٠ (٢٤)

ان هذا الوصف لبلاد الخزر وانتشار الاسلام فيها يعكس لنا حالتها في عصر ياقوت الحموي، أي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، في الاعم الارجح ، ولكن هذا الانتشار على حساب اليهودية والمسيحية كان وليد تطورات سبقت عصر ياقوت بكثير ، ربما كانت بداياتها ترجع الى القرن الاول الهجري ٠

وقبل الاستمرار في دراسة انتشار الاسلام بين اهل بلغار ، يجدر بنا دراسة طرق انتشاره في ديار البلغار، وهي :

١- طريق بلاد القفقاس ، والتي دانت لحكم المسلمين منذ القرن الاول الهجري ، واعتنق غالبية أهلها الدين الاسلامي ، وتسرب منها الى بلاد البلغار عن طريق التجار المسلمين ٠
٢- الطريق المؤدي الى خوارزم من خراسان الى بلاد البلغار ، وهو الطريق الذي سلكه ابن فضلان مع الوفد الذي بعثه الخليفة العباسي المقتدر بالله الى بلاد البلغار ٠
٣- الطريق البحري ، وهو الطريق الذي يصل بين البلاد الواقعة حول بحر الخزر (قزرين) ، وكانت سفن المسلمين تجوب هذا البحر ، للمتاجرة مع سكان سواحله ومنها بلاد البلغار- الصقالبة- ، يستوردون منهم الجلود والفِراء والشمع والقلانس والعسل والسيوف ، كما كان يسلكه تجار الرقيق الذين يقصدون بلاد البلغار لشراء الرقيق الصقالبة ٠ (٢٥)

اسهمت هذه الطرق الثلاثة في تسرب مبادىء وقيم الاسلام الى بلاد البلغار، دون تحديد زمن وتاريخ انتشارها بين السكان ، بل كانت هناك عوامل عديدة اسهمت في انتشار الاسلام بين البلغار، فضلا عن دور وريادة التجار والتبادل التجاري الذي شكل عاملا فعالا ومؤثراً في الاختلاط والامتزاج بين شعوب ومجتمعات متباعدة في المعمورة ، ماأدى الى حصول تقارب وحوار في الافكار والثقافات ، ومنها انتشار الاسلام في بلاد البلغار ، من خلال دور التجار المسلمين الذين جابوا تلك الاصقاع النائية ٠

ولاريب ان الصلات السياسية لعبت دورا كبيراً ومؤثراً في انتشار الاسلام ، من خلال قوة ومتانة الروابط السياسية بين الدولة العربية الاسلامية والدول الاخرى ، ومنها دولة البلغار ، واقدم اشارة الى هذه العلاقة ترجع الى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ذكر ابن النديم (٢٦) من

مؤلفات الخليفة العباسي المأمون (عبد الله) بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ، كتاب : ((جواب ملك البرغر[البلغار] فيما سئل [سأل] عنه من امور الاسلام والتوحيد)) ٠

ونستشف مما ذكره ابن النديم حول كتاب الخليفة المأمون العباسي جوابا على اسئلة ملك البلغار ، ان الاخير كان تواقاً جداً للتعرف على امور الدين الاسلامي والتوحيد ليقف على احكام الاسلام ، ونتساءل هل ان ملك البلغار كان مسلما اراد الاستزادة من اطلاعه على هذه الامور ؟ ام انه ادرك انتشار الاسلام بين قومه فأراد ان يقف على تلك الامور لكي يعتنق الاسلام ؟ ومهما يكن من امر فاننا نرجح ان الدين الاسلامي كان منتشراً ومعروفاً في بلده الى درجة كبيرة، مما حمله ان يسأل خليفة المسلمين المأمون العباسي- الذي وصفه ابن النديم [٢٧] بأنه : ((أعلم الفقهاء بالفقه والكلام)) - ، عن أصول هذا الدين ، فأجابه الخليفة بكتاب شرح فيه هذه الامور ، مما يؤكد عمق وقوة الصلات السياسية بين الدولة العباسية وبلاد البلغار منذ القرن الثاني الهجري، ودور الاسلام في ادامة تلك الصلات وتقويتها ٠

وفي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ازداد تأثير انتشار الاسلام على بلاد البلغار وقطع اشواطاً بعيدة في حياة اهلها بعد اعتناقهم هذه العقيدة السمحاء ، وقد اعدنا ابن رستة [٢٨] - الذي ألف كتابه حوالي سنة ٢٩١هـ /٩٠٣م - بمعلومات مهمة جدا عن اثر ودور الاسلام في بلاد البلغار التي يسميها : البكار ، وابرزها اعتناق ملكهم الدين الاسلامي وانتشار المساجد والكتاتيب والمؤذنين والأئمة، فقال : ((٠٠٠ وملكهم يسمى المش وهو ينتحل الاسلام ٠٠٠واكثرهم ينتحلون دين الاسلام وفي محالهم مساجد وكتاتيب ولهم مؤذنون وأئمة ، والكافر منهم يسجد لكل من لقي من محبيه)) ٠ان هذا الوصف الرائع يدلل دلالة واضحة جدا على تأثير انتشار الاسلام الذي اعتنقه ملك البلغار وغالب شعبه، فاتخذوا المساجد والكتاتيب لأداء الصلاة وتعلم اللغة العربية والتعرف على مبادىء الدين والشريعة الاسلامية السمحاء ، ولاشك ان هذه المظاهر تعكس اهمية تعلق البلغار بالدين الاسلامي، وان التأثير يرجع الى الدور المهم والفعال الذي قام به الدعاة المسلمون من التجار وغيرهم، الذين استقروا في تلك الديار النائية ونشروا الدين الاسلامي بين السكان، قبل وصول ابن فضلان وبعثته الى بلاد البلغار ٠

ويؤكد ابن رستة [٢٩] تأثر اهل بلغار بما كان منتشرا ومعروفا بين المسلمين من الملابس واتخاذ المقابر تشبهاً واعتزازا بإخوانهم المسلمين ، ويوضح لنا دور التجار المسلمين في توثيق الصلات مع البلغار وفي انتشار الاسلام بين البلغار ، اذ يقول : ((واذا جاءتهم سفن المسلمين للتجارة اخذوا منها العُشر ، وملابسهم شبيهة بملابس المسلمين ولهم مقابر مثل مقابر المسلمين)) ٠

ونستنتج مما ذكره ابن رستة دور التجار المسلمين الفعال في نشر الاسلام في بلاد البلغار ، فضلا عن استقرار اعداد كبيرة من المسلمين وعيشها في بلادهم ؛ بهدف تعليمهم الدين الاسلامي وقيامهم بالخدمات الدينية مثل اقامة الأذان وتعليم البلغار اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم ، كذلك قيام الأئمة بتعليم السكان مبادىء الشريعة الاسلامية وشؤون الحياة المختلفة التي نظمتها ، ومما لاريب فيه ان هؤلاء الدعاة كانوا اما متطوعين عاشوا ضمن المجتمع البلغاري لتأدية رسالتهم الدينية ، او ان بعضهم كان يعيش من خلال تشجيع الدولة العربية الاسلامية لهم للسفر والاستقرار هناك وتقديم المال اللازم لهم ، أو ان قسماً منهم كان يعيش مما يحصل عليه من مساعدات مالية او مادية من السكان المسلمين ٠

لم تقتصر الصلات بين بلاد المسلمين (ضمن الدولة العربية الاسلامية) وبلاد البلغار على التجار والتجارة ، بل ان بعض الصناع وارباب الحِرَف كانوا يترددون على هذه البلاد ويعملون فيها ، من ذلك مثلا ماذكره ابن فضلان [٣٠] انه رأى في بلاط ملك البلغار خياطاً بغدادياً وانه تَحادَثَ معه في امور شتى ، ولاشك انه يوجد هناك اناس آخرون غير الخياط من الصناع وارباب المهن في بلاد البلغار ، نزحوا اليها طلبا للرزق ، وهذا يؤكد استمرار الهجرات العربية الاسلامية الى تلك الاصقاع النائية والاستقرار فيها طلبا للرزق ، وكان لهؤلاء الصناع والحرفيين دور بارز في نشر الاسلام بين السكان ٠

مما سبق يتضح لنا ان الاسلام قد انتشر بشكل واسع في بلاد البلغار قبل وصول بعثة ابن فضلان سنة ٣٠٩هـ ، أي في العقد الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وهذا يعني الخطأ الواضح من ان ملك البلغار واهلها قد اسلموا في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله ، من خلال بعثة احمد بن فضلان كما ذكر ذلك بعض المؤلفين من المؤرخين والجغرافيين ٠ [٣١]

صحيح ان الدعوة لبعثة ابن فضلان جاءت من قبل ملك البلغار ، - الذي ارسل سفيرا الى عاصمة الخلافة العباسية بغداد ، يطلب ارسال بعثة تضم عدة اشخاص ، لتبصيرهم بامور الدين وشرائعه ، وبناء مسجد ينصبون فيه منبراً يخطبوا عليه باسم الخليفة ، وطلب المال من الخليفة لبناء حصن منيع يتحصن فيه ملك البلغار واسرته تحوطاً من ملك الخزر ، فضلا عن طلب بعض العقاقير والأدوية ، [٣٢] وبصفة عامة اراد البلغار الاستفادة من قوة الدولة العباسية وحضارتها لكسب قوة معنوية تحد من اطماع الدول المجاورة لهم وخاصة دولة الخزر- ، الا ان مبادىء الاسلام كانت هي الاخرى قوية في بلاد البلغار قبل هذه البعثة ، وان الاسلام انتشر بشكل واسع في تلك البلاد ، وجاءت بعثة ابن فضلان لتكمل وتعمق تلك المسيرة والصلات بين الدولة العباسية ودولة البلغار ٠

(٢)
أثر رحلة ابن فضلان على بلاد البلغار

أ- شخصية ابن فضلان :

قبل دراسة رحلة ابن فضلان واثرها لابد لنا من التعريف بشخصيته ، فهو: احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد [٣٣] ، كما هو مثبت تحت رسالته المعنونة : رسالة ابن فضلان، المسماة: كتاب احمد بن فضلان [٣٤] ، مولى امير المؤمنين الخليفة العباسي ابو الفضل جعفر (المقتدر بالله) بن المعتضد ، ثم مولى محمد بن سليمان بن المنفق فاتح مصر الذي شتت الطولونيين ودخلها سنة ٢٩٢هـ وقتل سنة ٣٠٤هـ [٣٥]، ونستشف مما ورد في رسالة ابن فضلان انه مولى محمد بن سليمان ورسول المقتدر الى ملك الصقالبة ، وذكر الحموي [٣٦] ايضاً انه مولى امير المؤمنين أي الخليفة العباسي المقتدربالله ثم مولى محمد بن سليمان ، فهو من العجم الموالي لذلك العصر في الاعم الأرجح ٠

ولما كنا نعاني من نقص شديد في المعلومات عن شخصية ابن فضلان؛ لعدم وقوفنا على ترجمة وافية له في كتب التاريخ والتراجم والجغرافية ، بل لم نرَ سطراً واحداًيشير اليه بوضوح ، سوى اسمه فقط : احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، وانه- كماذكرنا- مولى امير المؤمنين المقتدر بالله العباسي ثم مولى محمد بن سليمان فاتح مصر ، فاننا لانستطيع الجزم حول أصل ابن فضلان ، واستنادا الى ماذكره ابن فضلان [٣٧] نفسه ، فإننا نميل الى الاعتقاد بغير ذلك ، اذ نقل الينا قول ملك الصقالبة (البلغار) مخاطباً إياه ومُعَرّضاً بأصحابه ، بما نصه : ((انما اعرفك انت ، وذلك ان هؤلاء قوم عجم)) ، ولاندري هل يريد بذلك ان ابن فضلان عربي اللسان ام عربي الجنس؟ ام أن الملك يجهل أصله فدعاه هكذا ؟

اننا نرجح ان الملك لايعرف اصل ابن فضلان، وقصده انه لايعرف جماعته الآخرين ضمن الوفد لأنهم من أصول غير عربية (أعجمية) ، لكنه يعرف ابن فضلان لانه رسول الخليفة المقتدر بالله العباسي، وهو رجل مسلم يمثل الخليفة فأراد محاسبة ابن فضلان حول المال الذي امر الخليفة بتسليمه للملك؛ ليبني له حصناً ضد الخزر أعدائِه ٠

وبخصوص اسم ابن فضلان الاول (احمد) وجدنا مايخالفه بالنص في متن الرسالة[٣٨] اذ أخبرنا ابن فضلان انه أسلم على يديه رجل اسمه (طالوت) ، فسماه : عبد الله ، فقال له الرجل : ((أريد أن تُسميني باسمك محمداً)) ، ويخبرنا ابن فضلان انه سماه بهذا الاسم ، وعلى الرغم من اننا لانجد تناقضا واختلافا كبيرين في هذا الامر ، لكننا وجدنا فيه اختلافا بسيطاً في اسمه ، لعله تصحيف

ناسخ الرسالة ، فضلا عن ان اسم أحمد هو من الاسماء العربية المحببة ، بل من أسماء الرسول محمد (ص)، وخير الاسماء ماعُبدَ وحُمِدَ ، واعتزازا باسم الرسول الكريم فضّل الرجل تسميته - بعد اسلامه – باسمه تيمناً واعتزازا به ٠

ولايستوقفنا الاسم وحده(احمد) ، بل اسم فضلان ايضا ، فالوزن عربي معروف ، لكننا لن نقع على اسم (فضلان) في الاسماء المشهورة لذلك العصر ، مع ان الرسالة تذكر انه مولى لفاتح مصر محمد بن سليمان ، وقبل كل هذا هو مولى امير المؤمنين، أي الخليفة العباسي المقتدر بالله ورسوله الى ملك الصقالبة ، وهذا مايجعلنا نعود الى ترجيح الرأي حول كون ابن فضلان مولى من العجم الموالي لذلك العصر ٠[٣٩]

وبخصوص ولادته فاننا لا نعلم اين ولد ابن فضلان من بلاد العجم او العرب ، كما لانعلم تاريخ ولادته ومتى دخل الاسلام ، وكيف نشأ وماذا شغل من مناصب دينية قبل البعثة الى بلاد البلغار ، وماهي صلته بالوزير حامد بن العباس وماهي ثقافته الادبية والدينية ، وماذا خلف من كتب غير هذه الرسالة ، كل هذه الامور مجهولة تماما ، لكن الرجل كان ذا ثقافة دينية وادب رفيع واسلوب جميل ، وورع وخُلُق وحُب لنشر الاسلام وصدق الحديث وعفة في المال ، وهو لايخلو من سذاجة ، لعلها ترجع اما الى سِنِه المتقدمة او الى حالته الخاصة ٠ [٤٠]

ذكر كراتشكوفسكي[٤١] ان ابن فضلان يحتل المكانة الاولى بين الرحالة الذين زاروا شرق اوربا والمناطق القريبة من روسيا ، سواء من الناحية الزمنية او الاهمية الذاتية ، وذلك بسبب رسالته المشهورة التي تَجُدَدَ الاهتمام بها في الاعوام الاخيرة بنفس الدرجة التي تمتعت بها لاول مرة منذ مائة وعشرين عاماً ، وعلى الرغم من عدم وجود اية معلومات عن ابن فضلان ، الا انه يحاول دائما في الرسالة ان ينسب الى نفسه الدور الرئيسي ، ولم يقم حتى الآن أدنى رَيب حول صحة الرسالة اليه ، واذا كان البعض قد ابدى ارتيابه من وقت لآخر بشأنها ، فإن ذلك يمس بعض التفاصيل ولايُثبَت على محك النقد الدقيق ٠

وبخصوص رحلة ابن فضلان الى بلاد البلغار ، فإننا لانعرف طريق عودته الى بغداد ، والمدة التي قضاها في ذهابه وايابه ، ، كما اننا نجهل تاريخ وفاته ، ولسنا نعرف عنهُ سوى انه من رجال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ولعل الزمن يكشف لنا معلومات جديدة عن ابن فضلان باكتشاف مخطوطة جديدة عن رحلته، فيها معلومات اضافية توضح لنا ماغمض من تفاصيل حياته ،او عن طريق اكتشاف وتحقيق ونشر مخطوطات اخرى تجلو لنا هذا الغموض ٠

ب- رحلة ابن فضلان:

جاء في عنوان الكتاب الذي طُبعت فيه رحلة ابن فضلان بالنص انها : رسالة ابن فضلان ، وتحتها : احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ /٩٢١م، وبعد مقدمة المحقق وقبل ايراد نص الرسالة، يرد العنوان التالي (ص٦٥) : هذا كتاب احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة ، وتحتها جاء النص : ((يذكر فيه ماشاهد في بلد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم ، من اختلاف مذاهبهم واخبار ملوكهم واحوالهم في كثير من أمورهم)) ٠

يتضح لنا ان رحلة ابن فضلان دونت في رسالة اقترنت باسمه ، ثم سميت : كتاب احمد بن فضلان ، أي مذكراته ومشاهداته في بلاد الترك ، الخزر ، الروس ، الصقالبة ، الباشغرد ، وغيرهم ، وهي مذكرات وملاحظات شاهد عيان كتبها خلال رحلته وربما اكملها ونقحها بعد عودته ، وهذا الاختلاف في التسمية لايغير من الرحلة شيئاً، فالرسالة والكتاب يؤديان هدفا واحدا هو توثيق رحلة ابن فضلان بعينها ٠

وقد تناقل المؤرخون والجغرافيون بعد ابن فضلان التسميات المختلفة هذه حول رحلة ابن فضلان ، فالحموي نقل فقرات مطولة منها ضمن مواد جغرافية عديدة ، مثل : أتل ، باشغرد ،بلغار ، قال في مادة أتل مانصه [٤٢]: ((قرأت في كتاب احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رسول المقتدر الى بلاد الصقالبة ٠٠٠))٠ وقال في مادة بلغار مانصه [٤٣] : ((وقرأت رسالة عملها احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله الى ملك الصقالبة ذكر فيها ماشاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها ٠٠٠)) ٠

ونستنتج مما جاء في عنوان رحلة ابن فضلان وماذكره ياقوت الحموي عدم ذكر بلاد البلغار ، بل ورد ذكر الصقالبة فقط بدلا من البلغار ، مما يدلل ويؤكد ماذكرناه من ان البلغار هم الصقالبة ، كما ذكر ابن فضلان صاحب الرسالة ، وقد ذكر الحموي [٤٤] ان قصة ابن فضلان وارسال المقتدر له الى بلغار مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس ، وانه رأى منها عدة نسخ ، وذلك في عصره أي خلال القرن السادس او السابع الهجريين / الثاني عشر أوالثالث عشر الميلاديين ٠

وهكذا يتضح لنا ان الاثر الذي تركه ابن فضلان كان معروفا منتشرا، بعد اتمام رحلته تلك التي جرت في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ٠

وبخصوص اهمية رسالة ابن فضلان ، ذكر بارتولد [٤٥] المصادر المتعلقة ببلاد البلغار ، فجعل ابن فضلان عُمدة المصادر عن البلغار ؛ لانه اشترك سنة ٣٠٩هـ في الوفد الذي بعثه الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك البلغار ، اذ اوكلت اليه مهمة تعليم البلغار تعاليم الاسلام ، يدلنا على ذلك مابذله من الجهود في إعداد الخُطبة وفي فصل الرجال من النساء ، مما يوضح دوره في الجانب الديني للوفد ، اما الجانب السياسي فأوكل الى سوسن الرسي رسول الخليفة ، ووجهت اليه التحيات الواجبة لرئيس الوفد عند استقباله في القصر ٠

اما اسباب رحلة ابن فضلان فكانت استجابة لطلب ملك الصقالبة (البلغار) المش بن يلطوار [٤٦] الى امير المؤمنين المقتدر بالله ، الذي ارسل كتابا الى الخليفة من قبل رسوله عبد الله بن باشتو الخزري ، وقد طلب الملك من الخليفة العباسي في كتابه هذا ، الآتي :

١- ارسال جماعة من المسلمين من علماء الدين ليُفقهوا الملك وقومه في الدين ويعلمونهم احكام الشريعة الاسلامية ٠
٢- بناء حصن من مال الخليفة يتحصن فيه من الملوك المخالفين له ٠
٣- بناء مسجد للملك ، وينصب فيه منبرا ليقيم عليه الدعوة للخليفة في بلده وجميع مملكته ٠
٤- ارسال بعض العقاقير والادوية ، ليستعينوا بها في معالجة مرضاهم ٠ [٤٧]

يتضح لنا من خلال هذه المطالب ان ملك البلغار اراد توثيق علاقاته مع الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله ، ونستدل ان الملك كان مسلماً اراد الاستفادة من امكانيات الدولة العباسية الهائلة وقدراتها وحضارتها ، ليكسب قوة معنوية وذلك بانتسابه الى خليفة المسلمين ، لمواجهة اعدائه واعداء الاسلام المجاورين له ٠

وقبل دراستنا للرحلة واحداثها يجدر بنا عرض صورة سريعة عن الظروف التي كانت تمر بها الخلافة العباسية ، فقد كان الوضع السياسي في بغداد في عصر الخليفة المقتدر بالله متدهورا ، وازدادت قوة الوزراء وتأزم الوضع المالي ، الا ان بغداد مازالت تمثل مركز الرقي الفكري مقابل الانحطاط الحضاري الذي ساد البلدان التي زارها ابن فضلان ، يتضح لنا ذلك من وصفه التباين الواضح بين مجتمعه وقيمه وبين مجتمعات تلك البلدان ، وبناء على ذلك اخذ البغداديون زمام المبادرة في تعليم هؤلاء الاقوام من الترك والخزر والبلغار وغيرهم من الشعوب تلك الآداب والاصول ، وكان من اشهرهم احمد بن فضلان رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك الصقالبة ، و مادونه من معلومات في رحلته تلقي ضوءا ساطعا على دور مدينة بغداد وابنائها في نشر الحضارة بين الامم القريبة والبعيدة ، ومنهم الصقالبة ٠ [٤٨]

توزعت المسؤوليات على اعضاء الوفد الذي بعثه الخليفة المقتدر بالله العباسي الى ملك البلغار ، اذ أخبرنا ابن فضلان [٤٩] ان السفير المبعوث الى الملك هو نذير الحرمي [٥٠] ، وذكر عن نفسه بأنه انتُدب لقراءة كتاب الخليفة عليه ، وتسليم الهدايا اليه ، والإشراف على الفقهاء والمعلمين والصرف عليهم ، وتحصيل المال المرسل اليه ، الذي طلبه لبناء المسجد والحصن في بلاده ، وسيتم تحصيل المال من الضيعة المعروفة بـ : ارثخشمتين [٥١] من ارض خوارزم، وهي من ضياع وزير المقتدر ابو الحسن علي بن الفرات ، وكان يتولى ادارتها بعد عزله عن الوزارة الفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات ، فطلب اليه الخليفة بموجب كتابه تسليمها الى احمد بن موسى الخوارزمي ، وكان الرسول من جهة الخليفة فهو : سوسن الرسي مولى نذير الحرمي ، وضم الوفد : تكين التركي وبارس الصقلابي ٠

يتضح لنا ان الوفد مكون من اربعة اشخاص ، هم : احمد بن فضلان رئيس الوفد ، حيث ينسب الى نفسه الدور الرئيسي ، اذ كان مكلفا بعدة مهام ابرزها : قراءة كتاب الخليفة العباسي المقتدر بالله امام ملك البلغار ، وهذا يوضح لنا مهمته السياسية فضلا عن تسليم هدايا الخليفة اليه ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين الذين اوفدوا لتعليم ملك البلغار وشعبه اصول الدين الاسلامي والشريعة ، وهذا يوضح لنا مهمته الدينية للإشراف على هؤلاء الفقهاء والمعلمين ، كما عُهدت اليه مهمة استلام المال من ضيعة ارثخشمتين في بلاد خوارزم وتسليمه الى ملك البلغار ليبني به المسجد والحصن في بلاده ٠

أما بقية اعضاء الوفد فهم: سوسن الرسي وتكين التركي وبارس الصقلابي ، وقد ارسل الوفد بناءً على طلب رسول ملك البلغار عبد الله بن باشتو الخزري ، وهو امر يثير التساؤل والاستغراب ان يرسل ملك البلغار رجل خزري ، اذ المعروف ان الملك كان على علاقة سيئة جدا مع دولة الخزر التي كانت تحارب المسلمين بشدة ، ولعل الاختيار وقع عليه لسببين ، اولهما: معرفته باللغة العربية وثقته ، وثانيهما لما يتمتع به من حسُن اسلامه [٥٢] ، ولعل ابن باشتو كان دليل الوفد عند سفره من بغداد متوجها الى بلاد البلغار ، ويخيل الينا ان اثنين من اعضاء الوفد البغدادي يعرفان اللغة الروسية ، الاول سوسن الرسي الذي يبدو من إنتمائه الى بلاد الروس ، وقيل انه منسوب الى نهر الرس ، ، جلب كرقيق ثم تعلم اللغة العربية وحسُن اسلامه ، والثاني بارس الصقلابي واسمه ونسبته دليلان على اصله فهو من الصقالبة ، وسمي: بارس الحاجب ووصُف بانه قائد وثائر ، وهو غلام اسماعيل بن احمد الساماني صاحب خراسان ، وكان من الصقالبة (البلغار) الذين سكنوا بين المسلمين وتعلم اللغة العربية واعتنق الدين الاسلامي ، اما تكين التركي فكان حدادا في خوارزم ، وله اتصال مع ملك البلغار ، وكان على معرفة بالطريق الذي سيسلكه الوفد ، اما الرابع فهو احمد بن فضلان الذي كان يجهل اللغات الاجنبية ، كما يتضح لنا من رسالته ويستعين بالترجمان للتفاهم مع الاقوام التي التقى بها في رحلته ، لكنه كان على المام باللغة العربية والشريعة الاسلامية ، واسندت اليه رئاسة الوفد وقيادته ، فهو في كل الظروف يأمر وينهي ويقرر الرحلة او البقاء [٥٣] ، اذ قال [٥٤] : ((فنُدبُت انا لقراءة الكتاب عليه وتسليم ماأُهدي اليه ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين))٠ وكان مع الوفد اشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان فقال [٥٥] : ((وتأخر عنا الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام)) ، ولعلهم كانوا في مرتبة الملحقين المعاونين كما نسميهم بلغة الدبلوماسية اليوم ٠

غادر اعضاء الوفد مدينة السلام (بغداد) يوم الخميس ١١ صفر سنة ٣٠٩هـ / ٢١حزيران ٩٢١م ، فأقاموا يوما واحدا في النهروان ، وبعد وصولهم الى الدسكرة اقاموا بها ثلاثة ايام ، ولما وصلوا حلوان اقاموا بها يومين ومنها الى قرميسين ، وبعد اقامة فيها لمدة يومين غادروها حتى وصلوا همذان فاقاموا فيها ثلاثة ايام ، ثم توجهوا الى ساوة فاقاموا فيها يومين ومنها الى الري حيث اقاموا بها احد عشر يوما ، وهكذا واصلَ ابن فضلان وصف طريق الذهاب من بغداد الى بلاد البلغار سالكين طريق خراسان – خوارزم – البلغار ٠

بعد وصول ابن فضلان والوفد المرافق له مدينة بَخارى ، التقى بوزير السامانيين ابوعبد الله احمد بن محمد بن نصر الجيهاني الكاتب صاحب كتاب: المسالك والممالك [٥٦] ، وقد سعى لمقابلة الوفد

مع الامير نصر بن احمد الساماني ، وفعلاً استقبلهم الامير وبدأهم بالسؤال عن الخليفة العباسي المقتدر بالله ، وتم بحضرته قراءة كتاب الخليفة الموجه اليه بتسليم قرية ارثخشمتين من الفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات الى احمد بن موسى الخوارزمي ، وقام الامير بارسال كتابٍ الى صاحبه بخوارزم لتنفيذ امر الخليفة بخصوصها ، كما امر نصر بن احمد صاحبه في خوارزم بحماية الوفد وتقديم كا مايحتاجه وتسهيل مهمة سفره الى بلاد البلغار ،فأجابه بالسمع والطاعة .[٥٧]

ويبدو ان تسليم ارثخشمتين لم يتم ، اذ وصل الخبر الى الفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات عليها ، فاستخدم الحيلة ضد احمد بن موسى الخوارزمي الذي مايزال في بغداد ولحق بالوفد بعد سفره بخمسة ايام ، اذ كتب الفضل الى مسؤولي الطريق من جند سرخس الى بيكند بالقبض على احمد بن موسى الخوارزمي واعتقاله ، وتم ذلك فعلا اذ اعتقل في مدينة مرو ، وقد اتفق (تواطأ) الفضل مع مبعوث ملك البلغار عبد الله بن باشتو وغيره حول موضوع احمد بن موسى .[٥٨]

وهكذا يتضح لنا عدم تحقيق احد مطالب ملك البلغار بايصال الاموال اللازمة اليه من ريع القرية ارثخشمتين، لصرفها على بناء المسجد والحصن الذي طلب ملك البلغار مساعدة الخليفة العباسي لبنائهما من ماله الخاص ، ويدلنا ماجرى من نقاش بين ابن فضلان وملك البلغار على هذه الحقيقة .[٥٩]

استمر ابن فضلان في وصف معاناة الوفد والمتاعب الشديدة التي لقيها من برد قارس وصعوبات الطريق ، بسبب بُعد المفازات بين خوارزم وبلاد البلغار ، ومااعتراهم من الخوف من الخزر والترك في تلك الديار .[٦٠]

ولما اقترب وصول الوفد من بلاد الصقالبة ، التي قصد لزيارتها ومقابلة ملكها ، وكانوا على مسيرة يوم وليلة من عاصمة البلغار ، وصل الخبر بقرب وصول الوفد القادم من بغداد ، فأمر ملك البلغار ان يخرج لاستقبالهم الملوك الاربعة الذين كانوا تحت إمرته ومعهم اخوته واولاد ه ، فاستقبلوهم ، وحملوا معهم الخبز واللحم والجاورس (حب معروف يؤكل مثل الدهن) وساروا معهم ، ولما اقترب الوفد على بعد فرسخين [٦١] من عاصمة الملك ، أي اكثر من (٩) كيلو متر ونصف ، تلقاهم بنفسه ، فنزل وخرّ ساجدا شكرا لله –عزوجل- وفي كمه دراهم نثرها عليهم ، ونصب لهم قبابا نزلوا فيها ، وكان وصولهم اليه يوم الاحد ١٢محرم سنة ٣١٠هـ [٦٢] ، الموافق ١١ آيار سنة ٩٢٢م [٦٣] ، فاستغرقت رحلة الوفد في ذهابه من بغداد حتى وصوله مدينة بلغار عاصمة بلاد البلغار قرابة احد عشر شهرا، وصف ابن فضلان خلالها مالقي من مصاعب كثيرة واهوال مذهلة وصفا جميلا بارعا يضعه في الصف الاول من الرحالة الادباء .[٦٤]

بعد وصول الوفد البغدادي الى عاصمة البلغار على نهر الفولجا (أتل) واستقباله من قبل الملك وحاشيته ، اقام اربعة ايام (الاحد-الاربعاء) في القباب التي ضُربت لهم ، جمع الملك خلال تلك الايام الملوك والقادة واهل بلده ، ليسمعوا قراءة الكتاب الذي ارسله الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك البلغار ، كما اخذ الوفد خلالها قسطاً من الراحة من سفره الطويل ، وفي يوم الخميس كان اجتماعهم فنشر الوفد المِطردين اللذين كانا معهم ، وهما : الراية واللواء اللتين بعثهما الخليفة الى ملك البلغار مع الوفد ، وقام الوفد ايضاً بإسراج الدابة بالسرج الموجه الى الملك ، ليربكها تبركاً وإعتزازا بالخليفة العباسي ، كما ألبسوا الملك السواد والعمامة ، كل هذه الامور كانت مع الوفد ، وبذلك قُلِدَ ملك البلغار رسوم الخلفاء العباسيين وشاراتهم، اذ لبس السواد وهو شعار العباسيين والعمامة التي بعثها الخليفة اليه تشبها به واكراما له قبل قراءة كتاب الخليفة اليه ، وبحفل مهيب حضره الملوك والقادة واهل بلده .

واصلَ ابن فضلان حديثه عن هذه المناسبة الخالدة فيذكر انه اخرج كتاب الخليفة استعدادا لقراءته ، وقال للملك لايجوز ان يُقرأ كتاب الخليفة ونحن جلوس أي يجب ان يقف الجميع بما فيهم الملك، وفعلا قام الملك هو ومن حضر معه من وجوه أهل مملكته إجلالاً واحتراما للخليفة العباسي ، ووصَفَ ابن فضلان ملك البلغار بانه كان رجلا بدينا وبطينا جدا .

بدأ ابن فضلان بقراءة صدر كتاب الخليفة الموجه الى ملك البلغار ، فلما وصل منه : ((سلام عليك فإني احمد اليك الله الذي لاإله إلاهو)) ، طلب منه ابن فضلان أن يرد السلام على امير المؤمنين ، فردّ وردّ الجميع معه ، وكان الترجمان يترجم لهم حرفا حرفا ، ولما أكمل قراءة كتاب الخليفة كبّر الجميع تكبيرة ارتجت لها الارض !

وهكذا وصف لنا ابن فضلان وصفا رائعا ذلك المشهد التاريخي الخالد ، عند قراءته كتاب الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك البلغار ، واوضح لنا عظيم هيبة الخليفة في نفس الملك واهل بلده ، فضلا عن ان ابن فضلان بدأ مباشرة بنقل قيم وتقاليد المسلمين في احترام الخلفاء واجلالهم من خلال أمره الملك وحاشيته وجميع من كان حاضرا بالوقوف اثناء قراءة كتاب الخليفة ، وكذلك أمر الجميع برد السلام على الخليفة العباسي ، وبعد انتهاء قراءة الكتاب كَبّرالجميع تكبيرة عظيمة مدوية ، ثم قرأ ابن فضلان كتاب الوزير حامد بن العباس ، وكان الملك واقفاً ، ثم امره ابن فضلان بالجلوس فجلس عند قراءة كتاب نذير الحرمي ، ولما أكمل ابن فضلان قراءة كتاب الاخير ، نثر اصحاب الملك الدراهم الكثيرة عليه ، ثم اخرج ابن فضلان الهدايا المخصصة للملك وزوجته من الطيب والثياب واللؤلؤ ، وكان من عاداتهم جلوس زوجة الملك الى جانبه فخلع عليها ابن فضلان بحضور اهل بلده ، ولما خلع عليها نثرت النساء عليها الدراهم ، وانتهى هذا الاحتفال المهيب بهذه المراسيم . [٦٥]

جـ- تأثيرات رحلة ابن فضلان :

استمر ابن فضلان يرسم في رحلته صورة واضحة للبلغار وحضاراتهم وعاداتهم وتجارتهم ، لكنهم كانوا مازالوا دون ماوصل اليه المسلمون في مدينتهم ، على الرغم من وجود عادات طريفة عندهم ، منها ان كل واحد يأكل من مائدته لايشاركه فيها احد ولايتناول من مائدة غيره شيئا ، وكانت ملابسهم التي يلبسونها على الرأس هي القِلانس يرفعونها عن الرأس ويضعونها تحت الابط للتحية وإظهار الاحترام، كما كانت علاقة الملك بشعبه علاقة ابوية ديمقراطية ، وعرض ابن فضلان وصفا لطول الليل شتاءً وطول النهار صيفا وتعذرتحديد اوقات الصلاة ، ووصف ابن فضلان حب البلغار لمادة (السمن) وكان ملكهم بدينا (سمينا) ، كما كان عندهم تفاح اخضر شديد الحموضة تاكله الجواري فيسمن . [٦٦]

ان الذي يهمنا ابراز الاثار العربية الاسلامية التي تركها ابن فضلان والوفد المرافق له في بلاد البلغار اثناء رحلتهم ، فابن فضلان هو الخبير الديني للوفد والمكلف بأداء المهام والمسؤوليات الدينية ، استجابة لرغبة ملك البلغار الذي طلب من الخليفة العباسي ان يرسل اليه بعثة تضم رجال دين مهمتهم تبصيره بأمور الدين الاسلامي واحكامه وكذلك توضيح هذه الامور لشعبه ، واتضح لنا ان ابن فضلان كان رجلا ملتزما متمسكا بدينه وتقاليد الاسلام منذ مقابلته الاولى لملك البلغار عند استقباله مع الوفد المرافق له ، اذ بدأ يطبق تلك التقاليد العربية الاسلامية مباشرة عندما امر ملك البلغار بالوقوف اجلالا واحتراما للخليفة اثناء قراءة كتابه وكتاب الوزير حامد بن العباس ، وطلب الرد على سلام الخليفة للملك ، والتكبيرة المدوية التي كبّر بها من كان حاضرا ذلك الاحتفال بعد اختتام قراءة الكتب الموجهة الى ملك البلغار .

استمر ابن فضلان في وصف مراسيم استقبال الوفد والحفاوة البالغة به من قبل ملك البلغار وحاشيته ، فبعد اتمام قراءة الكتب وتقديم الخلع والهدايا له ولزوجته ، طلب من اعضاء الوفد الدخول اليه ، وكان جالسا في قبته ، وكان الملوك يجلسون عن يمينه، فأمر اعضاء الوفد بالجلوس عن يساره ، وكان اولاده جالسين بين يديه ، ، وكان الملك جالسا لوحده على سرير مغشى بالديباج الرومي ، فدعا بالمائدة وقُدمت ، وعليها اللحم المشوي ، وبعد انتهاء الوليمة دعا بشراب العسل الذي يسمونه : (السجو) فشرب قدحا ، ثم قام فقال : ((هذا سروري بمولاي امير المؤمنين- اطال الله بقاءه -)) ، وقام الملوك الاربعة واولاده لقيامه ، كما قام اعضاء الوفد ، وكرر ذلك ثلاث مرات ، ثم غادر الوفد المكان . [٦٧]

وبعد ذلك بدأ ابن فضلان يضع الاسس والقواعد الدينية في مكانها المناسب ، من خلال توجيهاته وتصحيحاته لكثير من الامور التي جرت بشكل مخالف لاصول الأسلام وتعاليمه٠

ذكر ابن فضلان [٦٨] ان الخطبة لملك البلغار كانت تبدأ على منبره قبل وصول الوفد بالقول : ((اللهم واصلح الملك يلطوار ملك البلغار)) ، وقد أوضح له ابن فضلان بأسلوب الإقناع والنصيحة مايؤدي الى تغيير هذه الخطبة ، بأن الله تعالى هو الملك ولايسمى على المنبر بهذا الاسم غيره ، وضرب له مثلا ان الخليفة العباسي المقتدر بالله رضي لنفسه ان يقال على منابره في الشرق والغرب : ((اللهم اصلح عبدك وخليفتك جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين)) ٠ وكذلك كان قبله حال آبائه الخلفاء ، وعزز ابن فضلان هذه الفكرة ان استشهد بقول الرسول الكريم (ص) : ((لاتطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم ، فأنما انا [عبد فقولوا] عبد الله ورسوله)) ، عند ذلك سأل ملك البلغار ابن فضلان كيف يجوز ان يخطب له ؟ فأجابه ان تكون الخطبة باسمه واسم ابيه ، وهنا اثار ملك البلغار مسألة مهمة هي ان اباه كان كافراً ، لذا فهو لايُحب ان يذكر اسمه على المنبر ، فضلا عن انه (الملك) لايحب ذكر اسمه لأن الذي سماه كان كافراً ويقصد اباه ، وهنا سأل ملك البلغار ابن فضلان عن اسم الخليفة فأجابه : جعفر ، فسأل هل يجوز ان يتسمى باسمه ؟ فأجابه ابن فضلان : نعم ، فقال الملك : ((قد جعلتُ اسمي جعفرا، واسم ابي عبد الله)) ، وطلب من ابن فضلان ان يوضح ذلك للخطيب الذي يخطب في المجلس للخليفة العباسي ولملك البلغار ، ففعل ذلك ، فكان الخطيب يخطب للملك بقوله : ((اللهم واصلح عبدك جعفر بن عبد الله امير بلغار مولى امير المؤمنين)) ٠

يتضح لنا مما سبق ان ابن فضلان شرع بتطبيق تعاليم الاسلام وتصحيح ماكان سائداً بشكل خاطىء في بلاد البلغار قبل وصول البعثة التي ترأسها ، فقد بَسّط تعاليم الاسلام حول تسمية الملك وألقابه التي تُقرأ على المنبر ، وجَسّد مبادىء التواضع والبساطة التي يتحلى بها الخلفاء العباسيون من خلال اقتدائهم بالرسول الكريم (ص) ، اذ ان الرسول (ص) والخلفاء انما هم عبيد الله سبحانه وتعالى وخلفائه في الارض ، كما ان ملك البلغارغَيّر اسمه الى اسم عربي اسلامي وطلب ان يخطب الخطيب بأسمه هذا : (جعفر بن عبد الله) على المنبر ، وهذا الاسم كان تيمناً واعتزازاً بإسم الخليفة العباسي المقتدر بالله ، وهكذا بدأ انتشار الاسماء العربية الاسلامية في بلاد البلغار ، وقد ذكرنا أن رسول الملك البلغاري الى الخليفة العباسي اسمه : عبد الله بن باشتو الخزري٠

مايثير الانتباه تَمسك ملك البلغار واعتزازه بالدين الاسلامي بشكل وثيق ، اذ رفض ان يُسمى بإسم ابيه لأنه كان كافراً ، كما رفض ان يبقى اسمه لأن اباه الكافر هو الذي سماه به ، وهذا ماجعل البعض يميل الى القول بأن الاسلام دخل بلاد البلغار قبيل رحلة ابن فضلان ، أو ان الملك البلغاري أسلم عند وصول ابن فضلان [٦٩] ، وهذا غير صحيح ، بل ان الاسلام كان معروفاً ومنتشراً في تلك البلاد قبل وصول ابن فضلان الذي عَزّزَ مسيرته وهَذّبَ كثيراً من القيم والعادات التي كانت سائدة بشكل خاطىء وغير صحيح ؛ بسبب عدم التطبيق الصحيح لقيم ومبادىء الاسلام الحنيف ٠

وبخصوص انتشار الاسماء العربية الاسلامية بين البلغار ، ذكر ابن فضلان [٧٠] ان رجلاً اسمه (طالوت) اسلم على يديه ، فسماهُ : (عبد الله) ، لكنه طلب من ابن فضلان ان يسميه على اسمه قائلاً : ((اريد ان تسميني باسمك محمدا)) فاستجاب له ابن فضلان ، واسلمت امرأته وامه واولاده ، وسموا كلهم محمد ، ويضيف ابن فضلان انه علمه : (الحمد لله) أي سورة الفاتحة و (قل هو الله احد) أي سورة الاخلاص ، فكان فرحه بهاتين السورتين اكثر من فرحه لو صار ملكاً على الصقالبة ٠

ويتضح لنا انتشار الاسماء العربية ، فهذا الرجل الذي اسلم وسماه ابن فضلان : عبد الله ، طلب ان يتسمى على اسم ابن فضلان (احمد) وهو من اسماء الرسول الكريم (ص) اعتزازاً واجلالاً لقدسية الرسول محمد (ص) ، اما تسمية زوجته واولاده كلهم باسم محمد ، فهذا يدل على ان هذه الاسرة اصبحت مسلمة ، يمكن ان تعد نفسها (مُحمدية) أي انها اعتنقت الاسلام دين الرسول الكريم محمد

(ص) واقترنت بإسمه تيمناً واعتزازاً به ، وكان ذلك الرجل فرحاً ومسروراً الى درجة كبيرة لأن ابن فضلان عَلّمه سورتي الفاتحة والاخلاص ، وعبر عن فرحه الشديد بهاتين السورتين اكثر من فرحه لو صار ملكاً ٠

وكان مؤذن ملك البلغار يثنّي الإقامة اذا أذّن ، فأخبره ابن فضلان ان مولاه الخليفة العباسي يفرد في داره الإقامة ، ويتضح من طريقة الأذان ان البلغار كانوا على مذهب ابي حنيفة الذي كان سائداً بين أتراك أسيا الوسطى ، بينما كان ابن فضلان على مذهب الشافعي ، ومع ذلك قال للمؤذن ((اقبل مايقوله لك ولاتخالفه)) واستمر المؤذن على ذلك أياماً ، أي افراد الإقامة كما اراد ابن فضلان ، لكن البلغار وملكهم ظلوا متمسكين بالمذهب الحنفي طوال تاريخهم ٠

وقد أثار موضوع المال الذي كان مقرراً ان يحصل عليه ملك البلغار من ابن فضلان لبناء المسجد والحصن ، اختلافاً جديداً بين ابن فضلان وملك البلغار ، يتضح لنا ذلك من خلال حوار ديني طريف جرى بينهما ، فبعدما أيقن الملك عدم حصوله على ذلك المال تقدم الى المؤذن طالباً منه أن يُثني الإقامة ففعل ، واراد ان يجعل من هذا الموضوع مدخلاً للمناظرة ، لكن ابن فضلان نهى مؤذن الملك من التثنية في الإقامة للصلاة ، فعرف الملك ذلك واحضر ابن فضلان واصحابه ٠

سأل ملك البلغار ابن فضلان بواسطة المترجم رأيه حول مؤذنين افرد احدهما وثنّى الآخر ثم صلّى كل واحد منهما بقومٍ هل تجوز الصلاة أم لا ؟ اجابه ابن فضلان ان الصلاة جائزة ٠ فسأله الملك باختلاف أم بإجماع ، فأجابه : بإجماع ، ثم سأله الملك رأيه في رجل دفع مالاً الى لأقوام ضعفاء محاصرين مستعبدين فخانوه ، أجابه ابن فضلان ان هذا لايجوز وهؤلاء قوم سوء ، فسأله الملك باختلاف أم بإجماع ، قال ابن فضلان : بإجماع ، فقال الملك للمترجم ان يخبر ابن فضلان ان الخليفة لو ارسل جيشاً هل يقدر عليه ؟ أجابه ابن فضلان : لا وكذلك لو قام بذلك العمل امير خراسان ، وذلك بسبب بُعد المسافة وكثرة قبائل الكفار في الطريق بينهما ، قال ملك البلغار للترجمان ان يوضح لابن فضلان انه في مكانه البعيد هذا خائف من مولاه امير المؤمنين الخليفة العباسي ، لانه يخاف ان يصل الخليفة عنه شيئاً يكرهه فيدعو عليه ويهلكه في مكانه ، والخليفة في مملكته وبينهما مسافة شاسعة ٠

اراد ملك البلغار أن يُعبر عن اعتزازه وتمسكه الوثيق بالخليفة العباسي ، كما يؤكد اعتقاده بقدرة الخليفة وقوته الروحية التي تلحق الضرر بمن يسيىء التصرف معه ، وبذلك أوقع ملك البلغار اللوم على ابن فضلان وجماعته بخصوص عدم إيصال مال الخليفة اليه لبناء المسجد والحصن الذي أراد بناءه لدرء خطر هجوم الخزر ضده ، فقال مخاطباً إياهم بهذا الصدد : ((وانتم تأكلون خبزه وتلبسون ثيابه وترونه في كل وقت خنتموه في مقدار رسالة بعثكم بها إليّ ، الى قوم ضعفى ، وخنتم المسلمين ، لاأقبل منكم امر ديني حتى يجيئني من ينصح لي فيما يقول ٠ فإذا جاءني انسان بهذه الصورة قبلت منه)) ، ويعلق ابن فضلان على هذا القول بأن ملك البلغار قد ألجمنا ، أي : أسكتنا لأنهم احتاروا في كيفية الإجابة عليه ثم انصرفوا من عنده ، وهكذا يبدو ملك البلغار شديد الاهتمام بأمر المال لابسبب حاجته وانما عدّ ذلك المال مقدساً ويبعث فيهم القوة اذا تم بناء الحصن ضد اعدائهم من الخزر خاصة بذلك المال ، اعتقاداً بقوة الخلافة التي ستزيد قوتهم وبأسهم ، فهم ليسوا ضعفاء بل إنهم ضعفاء بالنسبة للخليفة العباسي ؛ لأنهم رعيته وتبعيته في الدين خاصة ، واضاف ابن فضلان ان الملك بعد كلامه هذا كان يُفضله ويُقربه ويُباعد اصحابه الى درجة اخذ يسميه ((أبا بكر الصديق)) [٧١] ولعل ذلك نابع من صدق ابن فضلان وتمسكه بدينه وعقيدته ، وعدم قدرته على احضار المال الذي تأخر لأسباب قاهرة خارج إرادته ، ويرجح ان هذه التسمية يمكن ان تكون ان كنية ابن فضلان هي ابو بكر ، فأضاف اليه الصدّيق ٠ [٧٢]

كان أشد ماأثار استياء ابن فضلان وعدم ارتياحه انتشار عادة سيئة في مجتمع البلغار ، هي نزول الرجال والنساء الى النهر وإغتسالهم جميعاً عراة لايستتر بعضهم عن بعض ، وقد أشار الى العقوبات الرادعة ضد من يزني من الرجال والنساء ، وعلى الرغم من محاولته منعهم من هذه العادة

القبيحة ، واجتهاده في استتار النساء من الرجال في السباحة إلا انه لم يوفق في ذلك ، فقال : ((فما استوى لي ذلك)) ، وكان البلغار يقتلون السارق كما يقتلون الزاني ٠ (٧٣)

استمر ابن فضلان يواصل اداء رسالته الدينية في بلاد البلغار ، فيشيرالى انه زار إحدى مجموعات البلغار المعروفين بـ : البرنجار ، لعله يقصد : المونغول (٧٤) ، وكان عددهم بحدود خمسة آلاف نسمة من الرجال والنساء دخلوا الاسلام جميعاً ، وبنوا لهم مسجداً من خشب يُصلّون فيه ، ولايعرفون القراءة ، ويضيف أنه علّم جماعة ما يُصلّون به (٧٥) ، أي علمهم قراءة السور القرآنية وكيفية أداء الصلاة ٠

وكان ابن فضلان يغضب غضباً شديداً لإنتهاك حرمة المرأة المسلمة من قبل ملك الخزر اليهودي ، واغتصابه لها للزواج منه ، اذ كان يأخذ ابن ملك الصقالبة (البلغار) رهينة عنده ، ولما عرف بجمال ابنة ملك الصقالبة توجه لخطبتها فرفض أبوها ذلك ، لكنه اخذها غصباً على الرغم من انه يهودي وهي مسلمة ، فماتت عنده ، وكانت للملك بنتاً اخرى (اختها) ، فتوجه ملك الخزر لخطبتها ، لكن أباها زوّجها سراً من احد ملوك (أسكل) التابعين له ؛ خشية ان يغتصبها ملك الخزر اليهودي كما فعل بأختها اولاً ؛ لذلك ارسل ملك البلغار رسولاً الى بغداد يطلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله ان يساعده بالمال اللازم لبناء حصن يتحصن فيه خوفاً من ملك الخزر ٠ (٧٦)

ويبدو لنا من خلال رسالة ابن فضلان عدم تحقيق هذا الهدف أي بناء الحصن ، اذ لم تشر الرسالة الى هذا الأمر بوضوح ، بل ان مأأخبرنا به ابن فضلان اكثر من مرة يؤكد ماذهبنا اليه ، فقد ذكر ان ملك البلغار استدعاه بعد ثلاثة ايام من وصوله مع الوفد وقراءة كتاب الخليفة حول امر اربعة آلاف دينار ، وماكان بشأنها من الحيلة التي عملها الفضل بن موسى النصراني وكيل الوزير ابو الحسن علي بن الفرات من أموال ضيعة ارثخشمثين في بلاد خوارزم ، وتسليم المال الى احمد بن موسى الخوارزمي الذي كان يلتحق بابن فضلان ويواصل سيره الى بلاد البلغار ، لكن يبدو ان حيلة الفضل النصراني قد نجحت في القبض على احمد الخوارزمي فاعتل في الطريق ومنع من الحصول على المال وايصاله ، وبعد وصول ابن فضلان ومقابلته ملك البلغار قدّم الأخير اليه كتاب الخليفة المقتدر بالله وكتاب الوزير حامد بن العباس طالباً منه المال الذي ذكره فيهما الملك ! فأجابه ابن فضلان ان المال تعذر جمعهُ وضاق الوقت فتركناه (احمد بن موسى الخوارزمي) ليلحق بنا ، فردَّ عليه الملك ان مجيئهم وصرف الخليفة العباسي المال الكثير عليهم لإيصال ذلك المال اليه لبناء حصن يمتنع به من اليهود لم يحقق الهدف المنشود ، ليخلصه من استعباد ملك الخزر ، واخبره ان الهدية يمكن ان يحملها غلامه أي رسول الخليفة ، فأجابه ابن فضلان ان ذلك صحيحا وانهم اجتهدوا ، فقال الملك للترجمان : ((قل له أنا لاأعرف هؤلاء ، انما اعرفك انت ، وذلك ان هؤلاء قوم عجم ٠٠٠ ولست أطالب غيرك بدرهم فاخرج من المال فهو أصلح لك)) ، ويضيف ابن فضلان انه خرج من عند الملك مذعوراً مغموماً وكان رجلاً له منظر وهيبة ، بدين عريض ، وبعد خروجه جَمع اصحابه وعرّفهم ماجرى بينه وبين الملك البلغاري ، واوضح لهم انه كان يحذر من هذا الأمر ! (٧٧)

واللقاء الثاني حول هذا الموضوع ذكرناه من خلال المناظرة التي جرت بين ابن فضلان وملك البلغار حول الإقامة في الأذان ، وانسحب النقاش الى موضوع المال الذي قرر الخليفة ارساله الى الملك ليبني به حصناً ضد اليهود ملوك الخزر ، وفي ذلك الحوار وصف ملك البلغار ابن فضلان وجماعته بالخيانة في عدم الإيفاء بتطبيق ماجاء في رسالة الخليفة الى الملك حول المال المقرر استلامه لبناء الحصن ضد الخزر اليهود ٠(٧٨)

نستنتج مما سبق ان ابن فضلان لم يستطعْ ايصال المال اللازم من ضيعة ارثخشمثين الى ملك البلغار لأسباب وظروف قاهرة خارج ارادته (٧٩) ، ودليلنا على ذلك ماذكرناه من خلال رسالته ، فضلاً عن أنه سأل ذات يوم ملك البلغار حول امر طلب المال من الخليفة العباسي لبناء الحصن ضد غارات

ملك الخزر اليهودي ، اذ قال له ابن فضلان : ((مملكتك واسعة واموالك جمة وخراجك كثير ، فلمَ سألتَ السلطان [الخليفة] ان يبني حصناً بمالٍ من عنده لامقدار له)) ٠

يتضح لنا من سؤال ابن فضلان عدم توفر ذلك المال لدى الخليفة العباسي ، الذي اوعز باستحصاله من ضيعة ارثخشمتين في بلاد خوارزم ، فأجابه ملك البلغار قائلاً : ((رأيتُ دولة الاسلام مُقبلة ، وأموالهم يؤخذ من حَلها ، فالتمستُ ذلك لهذه العلة ، ولو أني اردت أن ابني حصناً من اموالي من فضة أو ذهب لما تعذّرَ ذلك عليّ ، وانما تبركتُ بمال امير المؤمنين ، فسألتهُ ذلك)) [٨٠]

ويتضح لنا من خلال هذه النصوص ان ملك البلغار اعترف بقوة الدولة العباسية وهيمنتها ، وهو أمرٌ يُفْخرويُعْتز به شديد الاعتزاز ، وان اموالها شرعية فهي أموال حلال ، وبمقدور الملك ان يبني ذلك الحصن من امواله من الذهب أو الفضة ان اراد ذلك ، لكنه اراد ان يتبرك بمال الخليفة العباسي ، فطلب منه ذلك ٠ إن هذا الأمر يدعو الى الزهو من جانب بغداد ، ويوضح هيبة الخليفة والخلافة ، ويرسم مكانتهما في اوربا وقتذاك ، خاصة حين يستنجد به ملك مملكة واسعة ويسعى معه الى حلف ثقافي ديني عسكري ، وهذا يؤكد ان سمعة بغداد في الخارج في عصر الخليفة المقتدر بالله كانت جيدة بل وعظيمة ، يتهافت الملوك والامراء عليها ليعقدوا معها أجمل الصِلات وأوثق التحالفات ، حتى ان الصقالبة وهم سكان شمال اوربا على اطراف نهر الفولجا وعاصمتهم على مقربة من مدينة قازان اليوم في خط يوازي مدينة موسكو ، طلبوا عون الخلافة العباسية ومساعدتها [٨١] ، وعلى أي حال فان ماقام به ابن فضلان من اعمال في مجال التربية والتثقيف بين مختلف الشعوب التي زارها خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، دليل على الدور الذي انجزته مدينة بغداد في نقلها الحضارة وتنظيمها للقيم الروحية الانسانية في مختلف بلاد العالم ٠ [٨٢]

بعد انتهاء مهمة السفارة التي شارك فيها ابن فضلان عاد يصف في رسالته هذه رحلته ، كما يكتب السفراء تقاريرهم اليوم بعد القيام بمهماتهم ، وجاءت رسالته بأسلوب بديع رائع ممتع مليء بالغرائب والعجائب واطراف المشاهدات ، تصور حال الاقوام والبلاد وعاداتهم المدنية والاجتماعية والدينية ، وترسم الطريق اليهم ، والفوارق التي تفصل بين الشرق والغرب ، وهذه الرحلة جديرة بالدراسة والتعليق ، تصف رأي رجل مسلم بتلك الربوع من جانب واحد ، ولانجد مايقابلها في كتب الروس والصقالبة من اثر لذلك العهد ، فهي وثيقة تاريخية ، ترفع للعرب شأناً في التأليف والوصف ، وذخيرة من ذخائر تراثنا المدهشة النافعة ٠ [٨٣]

وتجدر الاشارة الى ان خاتمة الرسالة مفقودة ، وان النسخة المخطوطة التي اكتشفت في مدينة مشهد، تمكننا لأول مرة من الحكم على الرسالة في صورتها الكاملة ، ومن المستحيل الجزم بأن جميع المسائل المتعلقة بمتن الرسالة قد حُلت نهائياً ٠ أما تاريخ وخط سير الرجعة فليس معروفاً لدينا ؛ لأن خاتمة الرسالة امتدت اليها أيدي الضياع ٠ [٨٤]

د- التأثير العربي الاسلامي بعد رحلة ابن فضلان :

لم تنقطع علاقة البلغار بالخلافة العباسية بعد رحلة ابن فضلان وعودته الى بغداد ، ذكر المسعودي [٨٥] ان احد ابناء ملك البلغار حج الى مكة المكرمة في عهد الخليفة المقتدر بالله ، أي قبل سنة ٣٢٠ هـ ، وانه استغل هذه الفرصة ومرَّ على بغداد ، وقدم فروض الطاعة للخليفة ٠

وكما ذكرنا فإن زعماء البلغار قد اسلموا قبل وصول ابن فضلان اليهم ، من خلال الوصف الذي قدمه ابن رستة [٨٦] عنهم بأنهم مسلمون صالحون عندهم مساجد ومدارس ومؤذنون وائمة ، وان ملابسهم ومقابرهم تشبه ملابس المسلمين ومقابرهم ، وأكد ابن فضلان تلك الحقائق خلال رحلته الى بلادهم وقيامه بتصحيح ماكان سائداً بينهم من قيم وافكار تتعلق بألقابهم واسمائهم واسلوب الخطبة بإسمهم وأداء الصلاة والأذان وغيرها من امور قصد بها توجيههم ونصيحتهم من منطلق تطبيق احكام الدين الصحيح ٠

كان الغرض من سفارة ابن فضلان توطيد اقدام الاسلام في تلك البلاد وإدخال الشريعة الاسلامية ، واقامة مسجد ومنبر وصبغ البلاد كلها بالصبغة الاسلامية ، ويظهر ان هذه المهمة قد تحققت ، فقد بلغ الاسلام اول مابلغ بلغار من اسيا الوسطى ، وكان واضحاً من طريقة الآذان انه كان على مذهب ابي حنيفة الذي كان سائداً بين اتراك آسيا الوسطى ، وظل البلغار متمسكين بالمذهب الحنفي طوال تاريخهم ، و في بلدانهم مساجد ومساجد جامعة ، وكان اهل بلغار وسوار مسلمين غيورين على دينهم . (٨٧)

اوردت بعض مصادرنا القديمة معلومات عن بلاد البلغار واستمرار انتشار الاسلام فيها ، ذكر الاصطخري (٨٨) ان بلغار اسم المدينة ، وهم مسلمون وفيها مسجد جامع ، وبقربها مدينة اخرى تسمى : سوار فيها ايضاً مسجد جامع ، واخبره خطيب بلغار ان عدد الناس في هاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل لهم أبنية من الخشب يأوون اليها .

وتحدث المقدسي (٨٩) عن الصلات التجارية بين المسلمين والبلغار ، فذكر وجود سوق في مدينة بلغار ، كانت تكدس فيه كميات من المواد التجارية ، مثل : فرو السمور والفاقم والثعلب والارنب الوحشي وشعر الماعز ، فضلا عن الشمع والنشاب وصمغ السمك والعنبر والعسل وثمار البندوق والصقور والمواشي والدروع وكذلك العَبيد والأرقاء ، وكانت تلك البضائع مشتهاة من المترفين في البلاد العربية الاسلامية ؛ بسبب الرفاه والتقدم الحضاري الذي شهده المجتمع ، ولابد انها كانت تُحمل من تلك الاصقاع الى بلدان الدولة العربية الاسلامية .

كانت البلغار اكثر اتصالاً بمملكة السامانيين لأسباب جغرافية ، ومنذ اوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ضربت في بلغار انواع من الدراهم السامانية المُقلدة، موسومة بإسم دار الضرب الاصلية والتاريخ الاصلي لكنها كانت تقليداً وليس أصلية ، تحمل اسم الامير البلغاري ميكائيل بن جعفر، والمرجح انه كان ابن الحاكم جعفر بن عبد الله ايام ابن فضلان وخليفته ، ونجد منذ سنة ٣٣٧هـ اول درهم من دار ضرب بلغارية في (سوار) ضرب في سوار وبلغار ، ولدينا سكة فضية تحمل اسم الامير البلغاري طالب بن احمد ضربت في سوار سنة ٣٣٨هـ ، وكان على السكة السامانية المعاصرة اسم الخليفة المستكفي الذي عزل قبل ذلك بوقت قصير ، أي سنة ٣٣٤هـ ، وهنالك ايضاً سكة اخرى للمؤمن بن احمد ، ويحتمل ان يكون اخا لطالب وخلفاً له من ايام الخليفة المطيع سنة ٣٦٣هـ ويستدل على انها لم تضرب حتى سنة ٣٦٦هـ ، أي بعد نهاية حكم الخليفة الذي ظهر اسمه عليها ، وكان للمؤمن بن الحسن امير البلغار في عهد الخليفة الطائع حق ضرب السكة ، اذ عثر على درهم ضرب بإسمه بين ٣٣٦-٣٧٠هـ ، ضرب في داري الضرب المذكورتين في مدينتي بلغار وسوار ، ويظهر على هذه العملات اسماء الخلفاء العباسيين الى جانب اسماء الحكام المحليين ولم تكشف بعد سكة متأخرة عليها اسم امراء البلغار ، ولابد ان اختفاء العملة الفضية في اواسط آسيا في القرن الخامس الهجري ، وفي جهات اخرى من العالم الاسلامي في وقت متأخر نوعا ما قد ظهر اثره في بلاد البلغار ، وليس لدينا تعليل مقنع عن سبب اختفائها ، ولم تضرب السكة الفضية ثانية في بلاد البلغار إلا قبيل غزو المغول في عهد الخليفة العباسي الناصر (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) ، نقش على احد وجهيها اسم الخليفة وعلى الوجه الآخر اسم المكان الذي ضربت فيه بعبارة عربية ركيكة هي : (الدينارالضرب بوالغار) ، ولم يرد عليها اسم الملك . (٩٠)

وهكذا يتضح لنا ان البلغار صاروا يقلدون المسلمين في ضرب السكة بإسم امرائهم ، وانهم اصبحوا على مقدرة من تحقيق ذلك الهدف الذي يدل على تطور امكانياتهم الاقتصادية والحضارية ، فقد زودتنا السكة بمعلومات عن اسماء خلفاء الملك البلغاري جعفر بن عبد الله الذي زاره ابن فضلان ، وهم : ابنه وخليفته ميكائيل بن جعفر وأسماء ثلاثة حكام آخرين ، وهم : طالب بن احمد ومؤمن بن احمد ومؤمن بن الحسن ، وظهر الى جانب الاسماء هذه اسماء الخلفاء العباسيين ، فاستمر ملوك البلغار يحملون اسماء عربية اسلامية . (٩١)

ظل الاسلام منتشراً في بلاد البلغار ، وحاول بعضهم نشره في البلاد الاوربية ، فرحلوا اليها ونشروا مبادىء الدين الاسلامي وقيمه ، ولقوا نجاحاً في مسعاهم ، من ذلك ماذكره الحموي [٩٢] من انه وجد بمدينة حلب طائفة كبيرة يقال لهم: الباشغردية وصفهم بأنهم شقر الشعور والوجوه جداً ، وكانوا على مذهب أبي حنيفة ، واضاف أنه سأل رجلاً منهم عن بلادهم وحالهم ، فأجابه ان بلادهم تقع وراء القسطنطينية في مملكة امة من الافرنج يقال لهم: (الهنكر) ، - وتعني بلاد (هنكاريا) اليوم – وذكر له انهم مسلمون يقاتلون اعداء الاسلام في تلك الديار ، وكان ملك الهنكر يمنع المسلمين من بناء سور في بلادهم خوفاً من عصيانهم عليه ، ولما سأله ياقوت عن سبب اسلامهم مع كونهم في وسط بلاد الكفر ، أجابه : ((سمعت جماعة من اسلافنا يتحدثون انه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة من المسلمين من بلاد بلغار ، وسكنوا بيننا وتلطفوا في تعريفنا مانحن عليه من الضلال ، وارشدنا الى الصواب من دين الاسلام ، فهدانا الله ، والحمد لله ، فأسلمنا جميعاً وشرح الله صدورنا للايمان ، ونحن نَقدِم الى هذه البلاد ونتفقه ، فإذا رجعنا الى بلادنا اكرمنا أهلها وولونا امور دينهم ٠٠٠)) ٠

ان هذا النص يوضح لنا دور البلغار في نشر الاسلام في المناطق المجاورة لهم ، وبصورة خاصة في بلاد الهنكر – أي هنكاريا الحالية ، ونؤكد ان تسرب مبادىء الاسلام اليها كان بعد رحلة ابن فضلان لبلاد البلغار في اوائل القرن الرابع الهجري ، اذ ان ياقوت يروي ماشاهده في حلب في القرن السابع الهجري ، فوصف هؤلاء المسلمين وصفاً رائعاً ، واوضح لنا انهم قدِموا الى حلب ليتعلموا أصول الدين من الفقه والشريعة وانهم كانوا على المذهب الحنفي ، وعند عودتهم الى بلادهم بعد دراستهم العلمية الدينية في حلب ، سيكونوا موضع احترام وتقدير المسلمين في بلادهم ، اذ سيكونوا مراجعهم الدينية هناك ، بسبب دراستهم وتعلمهم في البلاد الاسلامية ، من جهة اخرى توضح لنا هذه الرواية ان كثيراً ممن دخل الاسلام من ابناء الامم الاخرى كانوا بحاجة ماسة من اخوانهم المسلمين ليوضحوا لهم اصول الدين ، ويعرفهم بالامم الاسلامية ويوثق العلاقات معهم دائماً ، وبذلك ينتشر الاسلام بصورة اوسع في اوربا ، ويحقق قوة للعرب والمسلمين فيها ٠

كان ياقوت الحموي اول من اوضح دور ابن فضلان في نشر الاسلام ببلاد البلغار، واختار فصولاً من رسالته دوّنها في كتابه : معجم البلدان [٩٣] ، وقد اشرنا الى ماذكره الحموي [٩٤] من ان رسالة ابن فضلان التي كتبها بعد ارساله من قبل الخليفة المقتدر بالله كانت معروفة مشهورة بأيدي الناس ، وانه رأى منها عدة نسخ ، أي انها كانت معروفة ومنتشرة في القرن السابع الهجري ، ولعل الحموي [٩٥] هو الذي انفرد بذكر عودة ابن فضلان الى بغداد ، لكن هذا الامر بقي مجهولاً ، اذ لم يرسم لنا ابن فضلان طريق عودته ، ولسنا نعرف هل هو نفس طريق الذهاب الذي وصفه تفصيلاً في رسالته أم غيره ؟ ؛ لان خاتمة الرسالة – كما ذكرنا – امتدت اليها ايدي الضياع ، وبذلك بقينا نجهل الكثير والمهم من اخبار الرحلة؛ بسبب ضياع خاتمتها وعدم اطلاعنا على الكثير من نتائجها ٠

وتجدر الاشارة الى ان هنالك علاقات اخرى بين البلغار والدولة العربية الاسلامية في المجالات السياسية والتجارية والثقافية وامور اللغة والادب والفن يمكن الاطلاع عليها في مراجعها [٩٦] ، ولا مجال لذكرها بسبب عدم علاقتها الوثيقة بموضوع بحثنا ٠

هوامش وتعليقات البحث :

١. ذكر ابن النديم من مؤلفات الخليفة العباسي المأمون : (كتاب جواب ملك البرغر فيما سئل عنه من أمور الإسلام والتوحيد) . ابو الفرج محمد بن يعقوب إسحاق المعروف بـ: الوراق . كتاب الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، تحقيق:رضا– تجدد، (طهران ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص ١٢٩ .

٢. ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر . الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١م) ، ص١٤١ .

٣. هربك ، أي . مادة (بلغار) ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد السابع ، إعداد وتحرير : إبراهيم زكي خورشيد واحمد الشنتناوي ود. عبد الحميد يونس ، كتاب الشعب ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص٥٩٩ . الداقوقي ، د. حسين علي . دولة البلغار المسلمين في حوض الفولجا . مجلة المؤرخ العربي ، العدد:

٢١،(بغداد،١٩٨٦م)،ص٢٠٣، ٢١٠، وذكر بارتولد ان بلغار اسم شعب لايُعرف أصله على وجه التحقيق ، تكونت منه دولتان في أوائل القرون الوسطى احداهما على نهر اتيل (الفولجا) ، والأخرى على نهر الدانوب ،دائرة المعارف الاسلامية، مادة (بلغار) ص٥٨٧ .

وممن نقل عنه هذا الرأي : الديوةجي ، سعيد . الصلات بين العباسيين والبلغار، مجلة الأقلام ، ج٥ ، السنة السادسة ، (بغداد ١٩٧٠م) ، ص٣ ، الداقوقي . دولة البلغار ص٢٠٢ ، العبادي فاضل كاظم صادق . العلاقات التجارية والثقافية العربية الإسلامية بشرق أوربة خلال العصور العباسية ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،قدمت الى قسم التاريخ / كلية الاداب – جامعة بغداد، (بغداد ، ١٤١٢هـ /١٩٩١م) ص١٦ .

٤. الديوةجي . الصلات ص٣ .

٥. حسن ، د. زكي محمد . الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص٢٦ .

٦. بلغار ص٥٩٩-٦٠٠ .

٧. بارتولد . بلغار ص٥٨٧ .

٨. بلغار ص٦٠٠ .

٩. الصقالبة من ولد ماربن يافث بن نوح ، ويرجع اليه سائر أجناس الصقالبة ، ويلحقون به أنسابهم ، ومن ملوك الصقالبة ملك الترك ، وهذا الجنس أحسن الصقالبة صوراً وأكثرهم عدداً وأشدهم بأسا . المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٢٢-٢٣ .

١٠. البرجان من ولد يونان بن يافث ، وهم مملكة واسعة كبيرة ، كانوا يحاربون الروم والصقالبة والترك والخزر ، واشد الأمم حربا لهم الروم . المسعودي . اخبار الزمان ومن أباده الحَدَثان ، الطبعة الثانية ، دار الأندلس ، (بيروت ، ١٩٦٦م) ، ص٩٧ .

وبرجان بلد من نواحي الخزر وصلته طلائع المسلمين في خلافة عثمان بن عفان (رض) ، (الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ٠ معجم البلدان ، المجلد الأول (بيروت ، ١٩٥٥م) ، ص ٣٧٣ ، الداقوقي ، دولة البلغار ص ٢٠٠ ٠

١١. انظر عن البلغار وأقسامهم : بارتولد . بلغار ص٥٨٨ ، هربك . بلغار ص٥٩٩-٦٠٠ ، الداقوقي . دولة البلغار ص٢٠٤-٢٠٥ .

١٢. أحمد بن فضلان بن العباس . رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م ، تحقيق د. محمد سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية ، (دمشق ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص٦٧ ، وسمى ملك البلغار بـ: صاحب الصقالبة (ص٦٩) ، وأفردَ فصلاً مُطولا بعنوان : الصقالبة (ص١١١-١٤٦) ، وذكر الداقوقي ان ابن فضلان يسمي البلغار بالصقالبة خطأ . دولة البلغار ص٢٠٩ .

١٣. الأعلاق النفيسة ص١٤١ ، وذكر جماعات البلغار الثلاث : برصولا ، أسغل ، بلكار .

١٤. الحموي . معجم البلدان مجلد ٤٨٥/١ ، انظر أيضا : ابن عبد الحق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن . مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج١ ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ، ص٢١٩ . وذكر الحموي ان بلاد الصقالبة هم أهل البلغار . معجم البلدان مجلد ٨٧/١ ، وذكر الديوةجي ان بلاد البلغار هي الصقالبة . الصلات ص٣ ، وان ملك البلغار (الصقالبة) ٠٠٠ (ص٥) ، وفي حديثه عن الوفد الذي أرسله الخليفة المقتدر الى ملك البلغار ذكر منهم بارس الصقلبي ، وهو من الصقالبة (البلغار) . المرجع نفسه ص٦، وذكرد. الدهان عن هذا الرجل انه ثالث رجال الوفد . وهو من الصقالبة (السلاف) . قدماء ومعاصرون ، مطابع دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٦١م) ، ص٥٢ .

١٥. ذكر الاصطخري ان بلغار اسم المدينة وأهلها مسلمون ، فيها مسجد جامع . ابو إسحاق إبراهيم بن محمد . مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٣٧م) ، ص٢٢٥ . انظر عن أجناس البلغار : ابن رستة . الأعلاق النفيسة ص١٤١ ، هربك . بلغار ص٦٠١ .

١٦. دائرة المعارف الإسلامية .مادة بلغار ، مجلد ٧ص٥٩٢ .

١٧. رسالة ابن فضلان ، هامش المحقق ص٦٧ ، وذكر ان الصقالبة والصقلبية هم السلاف او السكلاف .

١٨. ابو حامد محمد بن عبد الرحيم . تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ، باعتناء : سيزار . أي . دوبلر ، (مدريد ، ١٩٥٣م) ، ص٩ ، ١١-١٢ .

١٩. ذكر الغرناطي انه من أصحاب أبي المعالي الجويني . تحفة الألباب ص١٢ ، وذكر د. زكي محمد حسن أن الغرناطي زار بلاد البلغار سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م ، وصحب قاضيها يعقوب بن النعمان ، الذي ألف كتابا في تاريخ

البلغار ، ولا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب الذي اطلع عليه الغرناطي . الرحالة المسلمون ص٣١ ، انظر أيضا : بارتولد . مادة (بلغار) ص٥٩٦ ، الداقوقي . دولة البلغار ص١٩٣ ، ٢١٠ .
٢٠. تحفة الألباب ص١١-١٢ .
٢١. انظر: ابن فضلان . الرسالة ص٦٧ ، المسعودي . مروج الذهب ج٣٢/٢-٣٣ ، وذكر أيضا (أخبار الزمان ص٩٨-٩٩) مملكة الترك وارجع نسبهم الى ولد يافث بن نوح ، وهم أجناس كثيرة ، وأصحاب مدن وحصون . انظر أيضاً : الحموي . معجم البلدان مجلد ٨٧/١ ، ٤٨٥ .
٢٢. راجع : رسالة ابن فضلان وهي غنية بمعلومات عن العادات والقيم البالية التي كانت سائدة بين البلغار والخزر والترك والروس ، انظر أيضا : بارتولد . بلغار ص٥٩٤ ، هربك . بلغار ص٦٠١-٦٠٥ ، احمد ، د. جمال رشيد . مع رحلة ابن فضلان الى مدن البلغار والتوران تشع بغداد معالم حضارتها الى مختلف البلدان ،بحث ضمن كتاب : بغداد في التاريخ ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، (بغداد ، ١٩٩١م) ، ص٣٤٦-٣٤٧ .
٢٣. معجم البلدان مجلد ٣٧٣/١ ، عن البرجان راجع هامش رقم (١٠) ,
٢٤. المصدر نفسه مجلد ٣٦٧/٢-٣٦٨ .
٢٥. الديوةجي . الصلات ص٣ .
٢٦. الفهرست ص١٢٩ ، انظر أيضا : الديوةجي . الصلات ص٤ .
٢٧. المصدر نفسه والصفحة.
٢٨. الأعلاق النفيسة ص١٤١ ، د. جمال رشيد احمد . مع رحلة ابن فضلان ص٣٤٥ .
٢٩. المصدر نفسه ص ١٤١-١٤٢ ، انظر أيضا : بارتولد . بلغار ص٥٨٩ ، هربك . بلغار ص٦٠٥ ، حسن . الرحالة المسلمون ص٢٧ .
٣٠. الرسالة ص١٢٤ ، انظر أيضا : الديوةجي . الصلات ص٣ ، بارتولد . بلغار ص٥٩٣ .
٣١. ابن فضلان . الرسالة ص٦٧ ، وهي توحي ان البلغار لم يدخلوا الإسلام الا قبيل زيارة ابن فضلان ، وهذا غير دقيق . انظر أيضا : الحموي . معجم البلدان مجلد٤٨٦/١ ، بارتولد . بلغار ص٥٨٩ .
٣٢. ابن فضلان . الرسالة ص٦٧ ، كراتشكوفسكي ، اغناطيوس . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم الأول ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، (القاهرة ، ١٩٦٣م) ، ص١٨٧ ، الدهان . قدماء ومعاصرون ص٥٢-٥٣ ، باتولد . بلغار ص٥٩٠ ، الديوةجي .الصلات ص٣-٤ ، حسن . الرحالة المسلمون ص٢٧ .
٣٣. ورد هذا الاسم في رسالة ابن فضلان (صفحة العنوان) ، وكذلك ص٦٥ ، وجاء فيها ما نصه : ((هذا كتاب أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله الى ملك الصقالبة)) ، وعلى ص٦٧ :((قال أحمد بن فضلان)) ، انظر أيضا : الحموي . معجم البلدان مجلد ٣٢٢/١ ، ٤٨٦ ، حسن . الرحالة المسلمون ص٣٦ .
٣٤. رسالة ابن فضلان ص٦٥ ، نقلا عن : مخطوطة مدينة مشهد الوحيدة ، الورقة ١٩٦ ظ .
٣٥. تجارب الأمم ٥/ ٥١، نقلا عن : الدهان (محقق) . مقدمة رسالة ابن فضلان ص٣٨ ، حسن . الرحالة المسلمون ص٢٦ .
٣٦. معجم البلدان مجلد ٨٧/١ ،٣٢٢ ، ٤٨٦ .
٣٧. الرسالة ص١١٩ ، الدهان . مقدمة تحقيق الرسالة ص٣٨ .
٣٨. المصدر نفسه ص١٣٥ . الدهان . المرجع نفسه ص٣٧-٣٨ .
٣٩. الدهان . مقدمة الرسالة ص٣٨ .
٤٠. المرجع نفسه ص٣٨-٣٩ .
٤١. تاريخ الأدب الجغرافي ١٨٦/١-١٨٧ ، العبادي . العلاقات ص١١٨ .
٤٢. معجم البلدان مجلد ٨٧/١ .
٤٣. المصدر نفسه ص ٤٨٦ .
٤٤. المصدر نفسه ص ٨٨ .
٤٥. بلغار . دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٧ص٥٩٠ ، ٦٠٠ .
٤٦. وردت تسميته هذه عند ابن فضلان . الرسالة ص٦٧ ، وعلى ص١٠٢ ذكر ابن فضلان نقلا عن ملك الترك انه قال لهم : ((ان هؤلاء رسل ملك العرب الى صهري المش بن شلكي)) ، وهذا يعني ان المش بن شلكي ملك الصقالبة هو صهر ملك الترك ، وقبل رحلة ابن فضلان ذكر لنا ابن رستة (الاعلاق النفيسة ص١٤١) ان ملك البلغار يسمى : المش وهو ينتحل الإسلام ، ولا ندري لعله نفس الملك الذي زاره ابن فضلان بعد ذلك ، وسماه الحموي : المس بن شلكي بلطوار . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١ ، ولعل ذلك تصحيف لاسم : المش ، كما ورد اسمه : المشرح بن سلكي يلطوار . د. جمال رشيد أحمد . مع رحلة ابن فضلان ص٣٤٥ . وذكر بارتولد نقلا عن ابن فضلان ان اسم ملك

البلغار (المس) كان موجوداً في الرواية التي نقل عنها ابن رستة ومن جاء بعده ، ويضيف حول مسألة الاسم (المس) او (المش) بأنه لا يعرف هل كان الاسم قد ظهر بهذه الصيغة في الرسالة او انه يرجع الى النُساخ المتأخرين ، اذ ان الرسالة كانت منتشرة بنسخ عديدة في عهد ياقوت . مادة (بلغار) . دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٧ ص٥٨٩-٥٩١ .

وعلى ما يظهر من اسم الملك فانه غير صقلابي (سلافي) من حيث الانتماء القومي ، وانما يدل على لقب من الألقاب البلغارية القديمة ، وهومن نفس صنف اسماء الزعماء البلغار الذين قادوا قبائلهم نحو الغرب والى البلقان منذ القرن السادس الميلادي ، فـ (بلطوار) المنتشر عند بلغار نهر اتيل(الفولجا) يدل على حالة امير تابع لخاقان الخزر ، وكان لكل ملك بلغاري ابنٌ يعيش في بلاد خاقان الخزر رَهينة ، ولعل هذه الصِلات الإقطاعية قد ضعفت بعد تحالف البلغار مع المسلمين وتقربهم من الخليفة العباسي في بغداد . وقد غَيّر ملك البلغاربعد ذلك لقبه من(يلطوار)الى : الأمير، مشيراً بذلك الى استقلاله من تبعيته للخزر .هربك. بلغار٠دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٦٠٢/٧ ، د. جمال رشيد احمد . مع رحلة ابن فضلان ص٣٤٥- ٣٤٦ ٠

٤٧. ابن فضلان . الرسالة ص٦٧-٦٩ ، الديوةجي . الصلات ص٤-٥ .

٤٨. د. جمال رشيد احمد . مع رحلة ابن فضلان ص٣٤٢ .

٤٩. الرسالة ص٦٨ ، ٧٧-٧٨ ، الدهان . مقدمة رسالة ابن فضلان ص٢٤ .

٥٠. اختلف في لقبه فهو عند ابن فضلان : الحرمي . الرسالة ص٦٨ فما بعد ، وعند الحموي : الحزمي . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١ ، وسماه الدهان : الخرمي . مقدمة رسالة ابن فضلان ص٢٣ فما بعد ، انظر ايضا : الديوةجي . الصلات ص٥ .

ونرجح لقبه : الحرمي كما ورد في رسالة ابن فضلان ، وما جاء من اختلاف انما هو تصحيف النُساخ في الأعم الأرجح .

٥١. ارنخشمثين : مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة وافرة ، من أعمال خوارزم من أعاليها ، بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم ثلاثة ايام ، زارها ياقوت الحموي في شوال سنة ٦١٦هـ ، قبل وصول التتر الى خوارزم بأكثر من عام . الحموي . معجم البلدان مجلد ١٤١/١ .

٥٢. الدهان . مقدمة رسالة ابن فضلان ص٢٣ ، العبادي . العلاقات ص١٢١-١٢٢.

٥٣. المرجع نفسه ص٢٣-٢٤ ، ص٦٩ هامش ، العبادي ٠ العلاقات ص ١٢٢-١٢٣ الديوة جي ٠ الصلات ص ٥-٦ ٠

٥٤. الرسالة ص٦٩ .

٥٥. المصدر نفسه ص٨٧ . انظر أيضا : الدهان . مقدمة الرسالة ص٢٤ ، العبادي . العلاقات ص١٢٣ .

٥٦. انظر عنه : ابن النديم . الفهرست ص١٥٣ ، ابن فضلان . الرسالة ص٧٦ وهامشها .

٥٧. انظر عن الرحلة : ابن فضلان . الرسالة ص٧٣-١١٠ ، (وعن سير خط الرحلة راجع ملحق رقم ١) ، انظر أيضا : الحموي . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١ ، الديوةجي . الصلات ص٦-٧ .

٥٨. ابن فضلان . الرسالة ص٧٧-٧٨ .

٥٩. المصدر نفسه ص١١٨-١٢٠ .

٦٠. المصدر نفسه : ص٧٣-١١٠ ، الحموي . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١ ، الديوةجي . الصلات ص٦-٧ .

٦١. الفرسخ فارسي معرب فرسنك ، وهو وحدة قياس للأطوال (المسافات) ، ويساوي (٣) ميل ، أي بحدود اربعة كيلومترات ونصف . هنتس ، فالتر . المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمة : الدكتور كامل العسلي ، مطبعة القوات المسلحة الأردنية ، (عمان ، ١٩٧٠م) ، ص٩٤-٩٥ .

٦٢. ابن فضلان . الرسالة ص١١٣ . وذكر كراتشكوفسكي ان السفارة وصلت الى بلغار في ١٨ محرم ٣١٠هـ = ١٢مايو ٩٢٢ م . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق١٨٧/١ . وحدد د. الدهان وصول الوفد الى الفولجا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠هـ الموافق ١١ أيار ٩٢٢م . مقدمة رسالة ابن فضلان ص٢٥ ، ٣٧ .

٦٣. ذكر د. زكي محمد حسن ان الوفد وصل بلاد البلغار في ١٢ محرم سنة ٣١٠هـ الموافق ١٢ مايو سنة ٩٢٢م . الرحالة المسلمون ص٢٧ ، وحدد كراتشكوفسكي التاريخ الميلادي نفسه كما ذكرنا في الهامش السابق . وأخطأ د. الدهان فذكر ان الوفد عاد الى بغداد في ١٢ محرم ٣١٠هـ الموافق ١١مارس ٩٢٢م ، وانه قضى قرابة عام كامل في رحلته . قدماء ومعاصرون ص٥٢ . ولم نجد تحديداً لعودة الوفد الى بغداد اطلاقاً في أي مصدر من مصادر دراستنا .

٦٤. انظر : ابن فضلان ٠ الرسالة ص٧٣-١١٣ ، الحموي . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١ ، الدهان . قدماء ومعاصرون ص٥٢ ، مقدمة تحقيق رسالة ابن فضلان ص٢٥ ، ٣٧ ، كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق١٨٧/١ ، حسن ، الرحالة المسلمون ص٢٧ ، الديوةجي . الصِلات ص٦-٧ .

٦٥. انظر : ابن فضلان . الرسالة ص١١٣-١١٥ .
٦٦. المصدر نفسه ص١١٦-١٣١ ، حسن . الرحالة المسلمون ص٢٨-٣٠ ، بارتولد . بلغار ص٥٩٤ .
٦٧. رسالة ابن فضلان ص١١٥-١١٧ .
٦٨. المصدر نفسه ص١١٧-١١٨ ، انظر أيضا : الحموي . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١-٤٨٧ .
٦٩. ذكر الحموي ان ملك بلغار وأهلها اسلموا أيام المقتدر بالله ، ولم يقف على السبب في إسلامهم . معجم البلدان، مجلد ٤٨٦/١ ، حسن . الرحالة المسلمون ص٢٧ (وذكر ان الاسلام كان منتشراً بينهم قبل هذه الفترة).الداقوقي . دولة البلغار ص٢٠٧-٢٠٨ .
٧٠. الرسالة ص١٣٥ .
٧١. انظر عن هذا الموضوع : ابن فضلان . الرسالة ص١٢٠-١٢٢ ، د.جمال رشيد أحمد . مع ابن فضلان ص٣٤٥ ، هربك . بلغار ص٦٠٥ .
٧٢. الدهان . رسالة ابن فضلان ص١٢٢ هامش ، مقدمة الرسالة ص٢٧ .
٧٣. الرسالة ص١٣٤ ، الدهان . مقدمة الرسالة ص٢٦ .
٧٤. الدهان . رسالة ابن فضلان ص١٣٥ هامش .
٧٥. الرسالة ص١٣٥ .
٧٦. المصدر نفسه ص١٤٥ ، الديوة جي . الصلات ص٥ .
٧٧. الرسالة ص١١٩-١٢٠ .
٧٨. الرسالة ص١٢٠- ١٢٢ ، راجع هامش رقم (٧١) .
٧٩. انظر : رسالة ابن فضلان ص٧٧-٧٨ ، بارتولد . بلغار ص٥٩٤ .
٨٠. الرسالة ص١٤٦ ، الدهان . مقدمة الرسالة ص٢٣ ، الديوةجي . الصلات ٥ .
٨١. الدهان . مقدمة رسالة ابن فضلان ص١٢-١٣ .
٨٢. أحمد ، د. جمال رشيد . مع رحلة ابن فضلان ص٣٤٨ .
٨٣. الدهان . قدماء ومعاصرون ص٥٢ .
٨٤. كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق١٨٧/١ ، وذكر الحموي ان ابن فضلان عاد الى بغداد . معجم البلدان مجلد ٤٨٦/١ ، ولم يحدد طريق العودة .
٨٥. مروج الذهب ج١٦/٢ ، (ص٢٠٥ طبعة داغر) ، بارتولد . بلغار ص٥٩٤ ، د. جمال رشيد أحمد ٠ مع رحلة ابن فضلان ص ٣٤٤-٣٤٥ ،هربك. بلغار ص٦٠٥ ،الديوةجي.الصلات ص٩ ، الداقوقي. دولة البلغار ص٢٠٧-٢١٠ .
٨٦. الاعلاق النفيسة ص١٤١-١٤٢ .
٨٧. هربك . بلغار ص٦٠٥-٦٠٦ ، والشاهد على ما اتصف به حكامهم من غِيرة على الدين هو ما أهداه أمير البلغار ابو اسحق بن إبراهيم بن محمد بن بلتوار الى مسجدي سبزوار وخسرو جرد سنة ٤١٥هـ .
٨٨. مسالك الممالك ص٢٢٥ ، انظر أيضا : بارتولد . بلغار ص٥٩٢ .
٨٩. المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل، (ليدن ، ١٩٠٦م) ، ص٢٥٦ ، هربك . بلغار ص٦٠٣-٦٠٤ ، العبادي . العلاقات ص٧٥ .
٩٠. بارتولد . بلغار ص٥٩٤ ، هربك . بلغار ص٦٠٤ ، ٦٠٧ .
٩١. د. جمال رشيد أحمد . مع رحلة ابن فضلان ص ٣٤٦ ٠
٩٢. معجم البلدان مجلد ٣٢٣/١ مادة (باشغرد) ، انظر أيضا : الديوة جي . الصلات ص ٩-١٠ .
٩٣. معجم البلدان مجلد ٨٧/١ مادة (اتل) ، يقول: ((قرأت في كتاب أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رسول المقتدر الى بلاد الصقالبة ٠٠٠)) ، ٤٨٥/١ مادة (بلغار) ويقول ص٤٨٦ : ((وقرأت رسالة عملها أحمد بن فضلان ٠٠٠)) ويقول: ((وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر الى الصقالبة في رسالة له ٠٠٠)). ٣٦٧/٢ ، مادة (خزر) .
٩٤. المصدر نفسه مجلد ١/ ٨٨ .
٩٥. المصدر نفسه مجلد ٤٨٦/١ .
٩٦. بارتولد ٠ بلغار ص٥٩٧- ٥٩٩ ، هربك . بلغارص ٦٠٢-٦٠٩، الداقوقي . دولة البلغار ص ٢١٢-٢٣٠ ، العبادي ٠ العلاقات ص ٧١-٨٠، الدهان قدماء ومعاصرون ص ٥٦ ٠

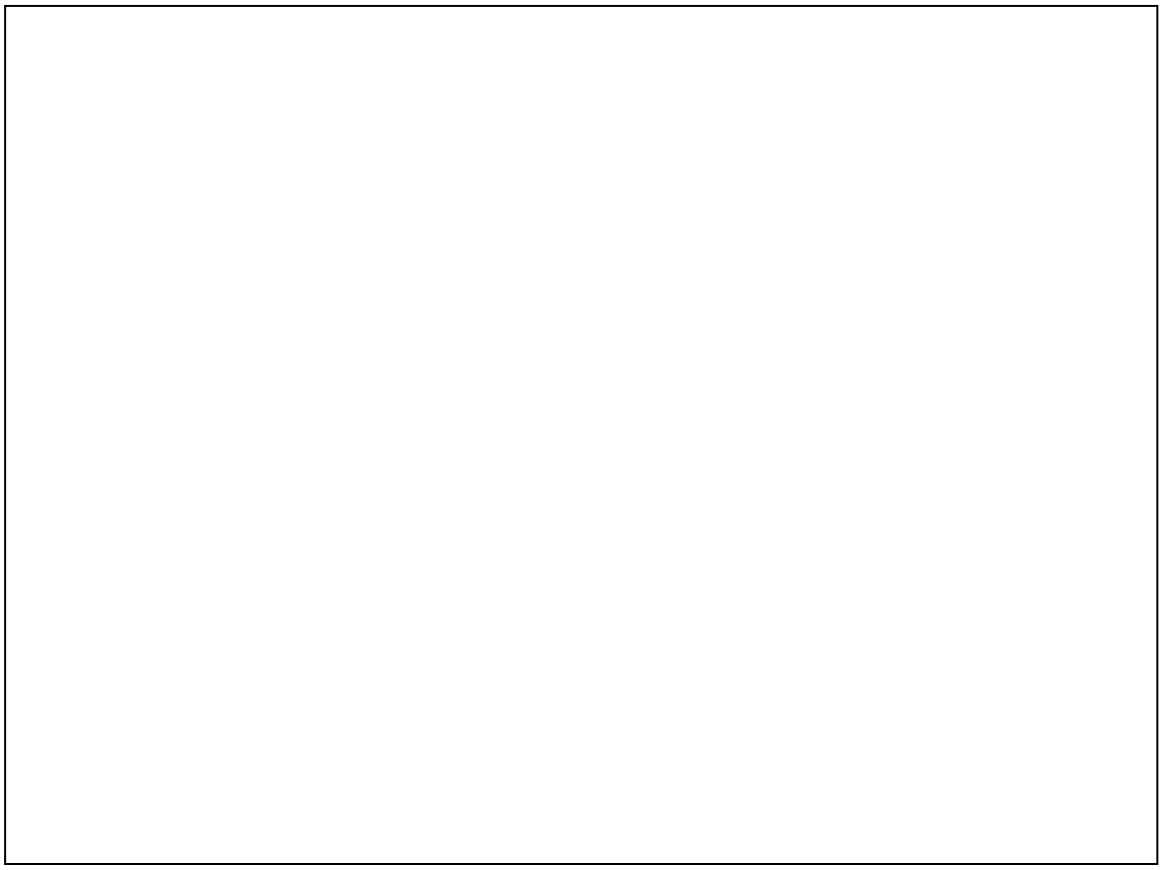

القسم الاول - مخطط الرحلة

المصدر : رسالة ابن فضلان .

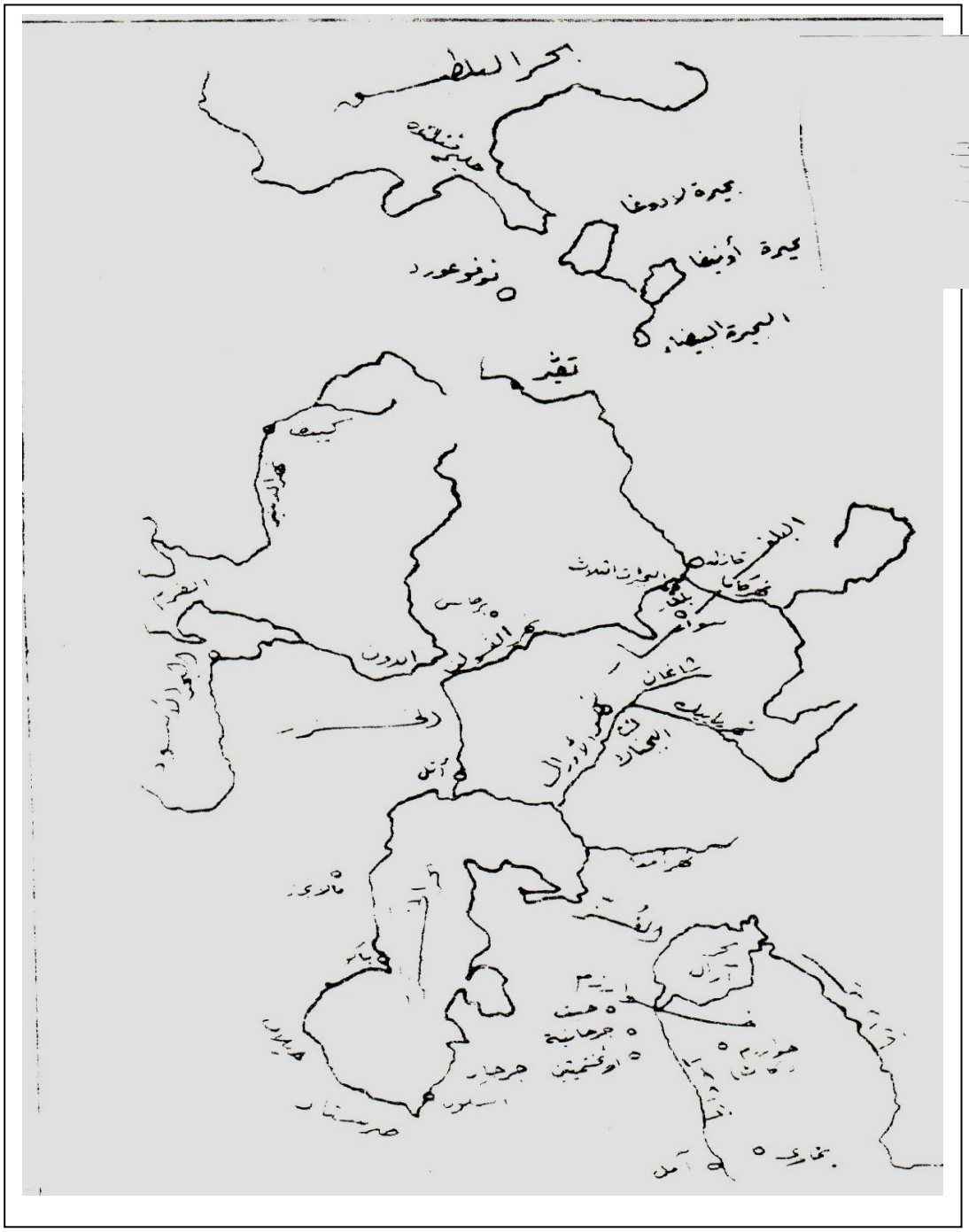

القسم الثاني

مخطط الاماكن التي وردت في رحلة ابن فضلان كما رسمها الاستاذ كانار في الترجمة

المصدر : رسالة ابن فضلان .